هل الحياة الآخرة

حقيقة أم خرافة

ما هي الاخرة؟))

" و نفخ في الصور, ذلك يوم الوعيد. و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد. لقد كنت في غفلة من هذا, فكشفنا عنك غطاءك, فبصرك اليوم حديد" و "فبصرك اليوم جديد".

1 ما هو "اليوم" في القرءان؟ يقول "انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا" و العبوس هي حالة نفسية. فكونه نسب العبوس الى اليوم "يوما عبوسا" فنستنبط أن اليوم هو حالة نفسانية باطنية للانسان. فاليوم رمز للحالة النفسانية بشموليتها للقلب و الجسم الذي يعكس اثار القلب.

2 "و نفخ في الصور" الصور هي رموز القرءان و أمثاله, و النفخ هو نفخ الروح الحية فيها. فهذه الأمثال يعتبرها البعض على أنها أوثان و أصنام كانت في غابر الزمان ووقعت للأولين, أي يعتبرون القرءان على انه كتاب تاريخي و شخصياته شخصيات تاريخية, "و اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أسطير الأولين". و بالتالي أصبح القرءان بلا روح, ميت بالنسبة لهم. و صوره تحولت الى صخور حجرية لا حضور لها في حياة الانسان. و أما النفخ فيها فهو بان يعرف أنها رموز على معارف باطنية, و هذه الروح ستحول القرءان و قصصه و شخصياته الى كائنات حية متمثلة في واقع كل فرد حي أو ميت (بالمعنى العرفاني) على وجه الأرض.

3 "كل نفس معها :سائق و شهيد" النفس غير الجسم و غير الروح. يقول "الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها" و الجسم يبقى في الأرض بعد الموت و كذلك اثناء النوم. فالنفس غير الجسم. و كذلك يقول "أومن كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمت ليس بخارج منها" فهذا الذي كان "ميتا" هو في الظاهر حي يمشي و يعمل و يفكر و يخطط على ظاهر الأرض. فالموت عند الله ليس عدم الحياة الحيوانية للجسم و الفكر, و انما هو عدم وجود الروح الالهية فيه. و الروح ليست كما يستعملها العوام. و لكن هي روح الله أي علمه و أسراره "ينزل الملائكة بالروح من أمره" و "أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تعلم ما الكتاب و لا الايمن و لكن جعلناه نورا". فاذن يوجد نفس, و جسم , و روح. الكل مكون فطريا من نفس و جسم. و أما الروح فهي مكتسبة لاحقا و بفضل الله. "و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا". فالان: من هو السائق و من هو الشهيد؟ السائق هو الذي يسوق النفس الى لقاء الله, و الشهيد هو الذي يشهد على أعمال هذه النفس. و نحن نعلم من قوله "يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون" و " تكلمنا أيديهم و أرجلهم بما كانوا يكسبون" فالجسم هو الشهيد, اذ ان باطن الانسان ينعكس على جسمه و أعماله الظاهرة. و بذلك يكون السائق هو

الروح. و من هنا قيل في الأثر "من جعل القرءان أمامه قاده الى الجنة و من جعله خلفه ساقه الى النار" و سياق الاية التي ندرسها يتحدث عن رجل معرض عن الله "لقد كنت في غفلة" فهو من الذين جعلوا الروح خلفهم فهو الان يسوقه الى النار. فالروح سائق بالنسبة للغافل و امام بالنسبة للساعي "و من قبله كتاب موسى اماما و رحمة".

4 "لقد كنت في غفلة من هذا" ما هو "هذا"؟ ليس المقصود هو الله أو الاخرة, اذ لو أراد ذلك لقال "لقد كنت في غفلة عن هذا". أما قوله "من هذا" يدل على أن "هذا" هو مصدر الغفلة, هو سبب الغفلة. فلننظر الى هذا المشهد بكلية حتى نعرف على من يشير الله في هذه الاية. المشهد مكون من أربعة: النفس, السائق, الشهيد, و الله. اذ "كلكم اتيه يوم القيمة فردا". فالله يخاطب النفس الغافلة و يقول لها "لقد كنت في غفلة من هذا", فهذه الاشارة لا يمكن الا أن تكون موجهة الى أحد اثنين: السائق أو الشهيد. و حيث ان السائق هو الروح, و الروح لا يسبب الغفلة. فان الاشارة موجهة الى الشهيد أي الجسم الظاهري. و لذلك جاء بعدها " و قال قرينه ربنا ما أطغيته و لكن كان في ضلل بعيد. قال لا تختصموا لدي" فالله يقول أن سبب الغفلة هو هذا الجسم الظاهري. و لكن الجسم يقول "ربنا ما أطغيته و لكن كان في ضلل" اذ الجسم مأمور و ليس له حكم ذاتي, بل النفس هي التي توجه الجسم و أعماله, و لذلك نرى الأجسام واحدة و الاعمال مختلفة. فالعبرة بالباطن. "الا من أتى الله بقلب سليم" و ليس بجسم سليم. فالنفس ستسعى لتبرأة ساحتها عن طريق القاء اللوم على الجسم و الحيوة الدنيا, حيوة اللعب و التكاثر الظاهري, و لكن لا حجة للنفس. فاذن "هذا" هو الجسم و الحيوة الظاهرية "يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا و هم عن الاخرة هم غفلون". و لزيادة التأكيد, لاحظ أنه هنا قال "و هم عن الاخرة" , و لكن قال هناك "كنت في غفلة من هذا" فليتنبه الدارس و لا يقلل من شأن هذه الاشارات الصغيرة ظاهرا الكبيرة علميا.

5 "فكشفنا عنك غطاءك": أولا "فكشفنا" متى يتم هذا الكشف؟ كون الله يلوم هذا الغافل على انه غافل و قد تسبب في اسدال غطاء الغفلة على نفسه, فهذا يعني أنه في الامكان بل هذا هو جوهر الدعوة القرءانية, أن لا يكون الانسان غافلا, و بالتالي لا غطاء عليه. و هذا كما هو بين انما يتم في هذه الحياة. فعلى أقل تقدير و مع غض النظر عن النقد الموجه الى النظرية القائلة أن الاخرة هي مرحلة بعد موت الجسم كما يعتقد الجماهير, فان الكشف اما أن يتم في هذه الحياة طوعا, او يتم بعد موت الجسم كرها. و حيث اني أقف في صف النظرية القائلة برفض الايمان بحياة بعد الموت الجسم بحسب اعتقاد الجماهير و قد فصلت أسباب ذلك في مواضع أخرى, فاننا في هذه الدراسة سنستمر على اعتبار المرحلة الأولى الطوعية للكشف في هذه الحياة. و بغض النظر عن البراهين المقدمة لصالح و ضد نظرية الجماهير عن الاخرة, فانه من الأفضل أن نلزم نظرية العارفين و التي هي مأخوذة من القرءان و بخاصة هذه الاية. و ذلك لأن كشف الغطاء في المرحلة الثانية انما هو كشف يصاحبه عذاب جهنم! و اذا اعتقد الناس بضرورة السعي لكشف الغطاء في هذه الحياة و لم يلتفتوا الى نظرية ما بعد موت الجسم, فان هذا سيركز الطاقة و

يقوي العزم على طلب المعرفة الالهية و القرءانية و الكشف في هذه الحياة. فاذن, سنحسب أنه لا يوجد الا كشف في هذه الحياة, و ليس بعد موت الجسم شيء يهمنا من هذه الحيثية.

"فكشفنا" بالجمع, و لم يقل "فكشفت". فمن هم هؤلاء الجمع الذين سيكشفون الغطاء؟ لعلنا لن ندرك هذه الاجابة حق ادراكها الا اذا عرفنا قبل ذلك ما هو الغطاء؟ اذ بتقرير الغاية نستشف الوسيلة. يقول "عنك غطاءك", لاحظ أن كلا الكلمتين ترجعان الى النفس. "عنك" و "غطاءك", كيف يكون الغطاء و هو أمر عرضي, منسوب الى الذات؟ فهذه النسبة هي نسبة ملكية اكتسابية, و ليست ذاتية. فالأصل أنه لا غطاء. "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" يقول "لا تبديل لخلق الله" و مع ذلك يقول في اية اخرى "فليغيرن خلق الله", كيف؟ ان الاولى تتحدث عن الذات "لا تبديل لخلق الله" من ناحية الأصل, و لكن الثانية تتحدث عن الغطاء العرضي "فليغيرن خلق الله", و لذلك سماه "غطاء" كمثل الجسم عندما ينام و يتغطى باللحاف, أو كمثل الجسم الذي يلبس الثياب المختلفة و الملونة. فالثوب يتغير و ربما يوهم الناس ان الجسم نفسه تغير خاصة بالنسبة لمن لا يعتقد الا بالمظاهر و لكن أصل الجسم لا يتغير بالمقارنة. و كذلك النفس من حيث الذات و الجوهر لا تتغير, "فطرة الله" و لكن الغطاء هو الذي يتغير. و من هنا يختلف الناس في اديانهم و مذاهبهم و أعمالهم و مشاعرهم. و من ناحية أخرى, فان نسبة الملكية تشير الى الرغبة في التملك الظاهري, أنا أملك هذا, أنا أملك هذه الأشياء, أنا أملك هذه المرأة, أنا أملك. هذا السعي الى التملك و التكاثر الظاهري الدنيوي غطاء سميك على النفس الالهية للانسان. و من هنا سمي خازن جهنم ب "مالك" لأن الذي يريد أن يشعل جهنم في قلبه فليدعي أنه مالك و ليعلق قلبه بالأملاك الظاهرية العرضية و لينظر أهذا الوعيد حق أم لا! الرغبة في الملكية, مالك, هو خازن القلب الجهنمي المعذب. و من ناحية ثالثة عرفانية, فان النفس هي ذاتها غطاء, كما قال العارف "أنت حجاب نفسك". ما هو المحجوب؟ هو ذات الله اللامتناهي. فالولوج في حضرة القدس لا يكون الا بأن تمحق نفسك, و تفنى بالكلية, و عندها تجد الله في ذاته المطلق. فقوله "غطاءك" يعني عين نفسك. و أما نفس الله فهو نار العشق التي تهلك كل شيء "كل شيء هالك الا وجهه".

فاذن الغطاء مكون من ثلاث طبقات, "ظل من ثلاث شعب": الطبقة الأولى هي الاصنام الدنيوية الخمسة "اللعب و اللهو و الزينة و التفاخر و التكاثر في الامول و الأولاد". و الطبقة الثانية هي مجرد وجود الرغبة في الملكية الظاهرية العرضية. و الطبقة الثالثة هي الانانية و شهود النفس. و الجنة درجات و جهنم دركات.

و من هنا نستشف من هم كاشفو الغطاء. بحياة التأمل و الدراسة و القيام على أمور الجسم بالصحة و الراحة تجعل الأصنام الخمسة جذذا. و بفهم سنة الحياة في كيفية سقوط الاملاك العرضية و بشهود العذابات النفسية التي يعانيها من يرغب في الملكية و بتذوق عظمة الأملاك الباطنية العلمية و الذوقية و بالحياة الاشتراكية التعاونية الاجتماعية فان مالك سيموت. و بذكر الله كثيرا و الاطلاع على احوال و اثار العشاق الالهيين و بالخلوات المستمرة و التعمق في العرفان النظري و السلوكي فان الطبقة الثالثة ستزول الا أن رحمة الله و جذبه للعارف ضرورية في هذا المقام بصورة خاصة, لان العاشق يصطفي عشاقه, و ليس كل من هب و دب سيدخل الى الغرفة الخاصة لملكة الوجود المتعالية و يغرق فيها في زواج لا أزواج فيه.

ثانيا, نلاحظ أن المكشوف ليس الله في الخارج او شيء اخر. و لكن المكشوف هو ذات نفس الانسان "فكشفنا عنك" فالقول بان الله انكشف لي و ما شابه ليس دقيقا من الناحية العرفانية. الله لم ينحجب في الواقع حتى ينكشف لنا. الله هو الأول و الاخر و الظهر و الباطن, و أينما تولوا فثم وجه الله. نحن الذين انحجبنا عنه. كمثل ابن يجلس على حضن أمه و يرضع منها و لكن قد وضع الأب عصابة سوداء على عيني الابن حتى لا يرى أمه عارية. فهذا الابن في الواقع أمام أمه و متصل بها ظاهرا بالجسم و باطنا بالرضاعة و الرحمة و الحنان. و لكن هذه العصابة السوداء التي وضعها الأب اللعين هي السبب الذي يجعل الابن يتوهم أن أمه هي المحجوبة عنه. فاذا أزالت الأم هذه العصابة السوداء فان الابن قد يقول مجازا "ان امي قد انكشفت لي" و الأدق أن يقول "لقد تخليت عن غطائي الذي حجبني عن امي" و لذلك يقول الله "فكشفنا عنك" و لم يقل: فكشفنا لك. و لذلك قال بعدها مفصلا ماهية النتيجة المترتبة على كشف الغطاء هذا "فبصرك اليوم حديد" فالغطاء يوضع على البصر. و منه السحر الذي مورس على عبيد فرعون "فسحروا أعين الناس".

بماذا يتم الكشف؟ اذا كان الغطاء هو الحيوة الدنيا و الرغبة في الملكية و الانانية الحاجبة, و اذا كان كل هذا سببه هو سحر موجه على البصر, و ظاهر ان البصر المقصود هو بصر القلب "انها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور", فاذن الكشف يتم أولا عن طريق كل ما من شأنه أن يبين الحقيقة الواقعية بمختلف مستوياتها. هذا هو الأصل. و من فروعه و صوره مثلا الدراسة و التحليل, القراءة الواسعة و الاطلاع على الاراء المختلفة في كل مكان و من كل انسان اذ بعد مثل هذا الاطلاع الواسع سيتيسر للقلب أن يرى و يحكم. و التجربة الجسمانية و النفسية و الروحية كل هذا يكشف عن الواقع الحقيقي و يساعد على كشف الغطاء شيئا فشيئا.

ان كلمة "غطاءك" تحتمل كلمة اخرى هي "عطاءك". فما العلاقة بين العطاء و الغطاء, و ما علاقة ذلك بالغفلة و انتكاس الفطرة؟ الذي يرى انه هو الذي يعطي فانه سيوهم نفسه بانه مستقل عن بقية الوجود, و اذا شعر بهذا فانه اما لن يعطي بل سيكتم و يسرق و يحتكر و يستأثر ليكثر ملكه و يرفع من شأن عطاءه, و اذا فعل هذا فانه اذا أعطى سيمنن, و اذا من فانه سيستكثر "و لا تمنن تستكثر" و اذا استكثر منع و كنز و استكبر بوهم. فهل ترى الى هذه السلسلة الجهنمية المنكوسة! و لكن الحق أننا كلنا مجرد رسل, أو قنوات للعطاء الفائض في الوجود من الفيض الأعلى لله جل شأنه. فكل الوجود طاقة. و كل كائن رسول أو قناة لهذه الطاقة. و اذا قمت بدراسة الحياة و حللتها فان الخلاصة ستكون هي هذه: الحياة هي انفاق للطاقة. سواء كان انفاق طوعي كالدراسة, أو كرهي كظاهرة الاحلام و الاكتئاب, و سواء كان انفاق في امر نافع ينبت خيرا كالتجارب الفكرية و الروحية, أو كان في أمر عقيم كالهلوسة و التفاخر على الاخرين على احد الاعتبارات.فالحياة هي انفاق للطاقة النفسية. و أما مصدر هذه الطاقة النفسية, و هل هي متساوية في كل النفوس, و هل يمكن زيادتها ام لا, كلها مباحث نفسية لها مواضع أخرى. و لكن اذا رجعنا الى أصل الطاقة فانه لا يمكن أن يكون في المخلوقات, لأن المخلوق أو الكائن في حيز المكان و الزمان هذا انما يتحرك و يتكون بسبب الطاقة و بها. فللطاقة مصدر وراء الزمان و المكان, و هذا ما يسميه العارفين "الله" و لذلك يقولون "لا قوة الا بالله" .لاحظ أنه لم يقل: لاقوة الا من الله, و لكن "بالله" أي ان الامداد مستمر متجدد لا ينقطع الى ما شاء الله. ففي الحقيقية كل شيء في الحياة على مختلف درجاتها و مقاماتها يمكن ارجاعه الى كلمة واحد و جذر واحد:الطاقة. و هذه الكثرات الصورية الجسمانية و النفسية و الروحية و الافاقية, كلها صور لجوهر الطاقة هذا. و بهذا العلم, يدرك العارف انه عليه أن يكون قناة مستمرة للعطاء النافع "فأما من أعطى و اتقى" بعكس الغافل "و أما من بخل و استغنى". فنحن وحدة في وحدة الوجود, و لسنا مستغنيين و مستقلين. و الذي يبخل بما عنده على كل المستويات فان هذه الطاقة المكبوتة ستنعكس على نفسه بسوء و أضرار و أمراض. و من هنا أدان الله الكتم و أمر بالنشر. ليس فقط المشاركة بنشر العلم, اذ انما العلم صورة من صور الطاقة الوجودية, و لكن المشاركة بكل شيء. تصور لو أن القلب الجسماني منع باقي الأعضاء من فيضه؟ سيموت كل الجسم. و اذا توقفت الكلية عن نشر طاقتها و المشاركة فيها؟ سيموت الجسم أو يتضرر بشدة. و هكذا. الوجود وحدة عضوية. و تصور أن العطاء هو عطاءك أنت بصورة مستقلة مستغنية هو غطاء على الفطرة العرفانية السليمة. و كما ترى, فان هذا التصور الواهم لعلاقة الموجودات ببعضها انما هو نتاج لسحر مورس على "البصر". فهي رؤية باطلة مضرة. فالفهم هو أكبر كاشف للغطاء. و لا يوجد غيره الا و هو فرعه أو من صوره أو أصوله. فاذن كاشف الغطاء هو الفهم.

يوجد اشارة في الايات تدل على مرحلة مهمة من مراحل الكشف و هي القلم. يقول "و جاءت كل نفس معها سائق و شهيد" و القلم من التقليم الذي هو التمييز و التفريق, و أصله في العقل. لاحظ الفرق بين "النفس" و "السائق" و

"الشهيد". فأنت شيء, و جسمك شئ, و روحك شئ. و عدم التمييز هذا جعل الناس تعبد أجسامها بدل أن تستعملها, و جعل الناس تحتكر الحقيقة بدل أن تفهمها و تنشرها. و جعل الناس لا تبالي بأنفسها ما دامت أجسامها و حياتها الظاهرية سليمة الى حد ما. فعدم التمييز أشاع الفوضى و الفساد في الأولويات و الاهتمامات. فبدل أن يكون الجسم وسيلة للترقي العرفاني و العلمي, أصبح غاية بحد ذاته و محور للحياة و صورية الطقوس الدينية. و بدل أن يكون الوحي الالهي لكل الناس أصبحت كل طائفة تسعى الى احتكاره لنفسها بشتى الصور, و بدل ان يكون الروح وسيلة الى المعرفة و التعمق أصبح عقبة في وجه العارفين و المحققين و سيف يشهره زبانية الطوائف في وجه العارف الذي يسعى للانفكاك من سجنهم و يخالف أصنامهم التي يسمونها "عقائد و فرائض". و بدل ان تكون النفس هي غاية كل شيء و معيار الحق "و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" أصبحت النفس لا أهمية لها, و كل مولود يعتبر رقم جديد في الاحصائية السكانية للبلد, و مجرد عبد لكائن خرافي يجلس في سماء أوهام الأطفال, و خير ما تأمله هذه النفوس هي أن تضاجع النساء بعد موت الجسم و تحتسي الخمر و هي تشاهد الكفار يعذبون في نار جهنم و بئس المصير- و العياذ بالله من هذه النفوس! ان هذه الاية القرءانية التي ندرسها رتبت الأولوية لأعضاء الحياة الانسانية بطريقة راقية توافق نظرية العارفين, فأولا "نفس" ثم "سائق" الروح,ثم "شهيد" الجسم. و كونه ذكر النفس بالمفرد اشارة اخرى الى الاهتمام و جعل الأولوية لكل نفس فرد, فالعبرة ليست بالمجموع و الشمولية كأن الناس قطيع غنم. لا, كل نفس فرد هي هدف للرعاية و محل للتعظيم كأصل. و نفع الناس هو معيار الحق الأول. ثم ياتي الروح, و القرءان العربي كتجلي له. فيستعمل القرءان للدراسة و الارتقاء الروحي و التعمق العرفاني باستمداد و استلهام الأفكار العرفانية و النافعة للانسانية. ثم يأتي الجسم, و يجب أن يراعى فيه الصحة و الراحة كأولوية, و كل عمل جسماني و صناعة يجب أن لا تستهدف اللعب أو اللهو أو الزينة و التفاخر و التكاثر و كل ذلك من وسائل التكبر الظاهري و مص دماء الجماهير, و نشر الحرب الأهلية المستمرة بين المواطنين, بل الصناعات و الاعمال الجسمانية لها هدف أولي و هو أن توفر لكل فرد "أن لا تجوع فيها و لا تعرى, و أنك لا تظمأ فيهاو لا تضحى" و "ادخل أنت و زوجك الجنة" و الرعاية الصحية عند الحاجة اليها و الامن "و أمنهم من خوف", فالغاية من الاعمال الجسمانية الظاهرية ليس الاستكبار (من أراد التوسع النفسي فعليه بالعلم و العرفان) و لكن الصحة. و بهذا يتم العدل و الاحسان.

6 "فبصرك اليوم حديد" لاحظ كيف ذكر "اليوم" مرة اخرى عندما تبدلت حالته الباطنية. ففي الحياة النفسية لا يوجد زمن افاقي , و لكن الزمن و تقلب الليل و النهار و باقي الرموز كلها تشير الى تبدلات في حالة القلب. فاليوم النفسي يمكن ان يطول خمسين ألف سنة بالنسبة لليوم الافاقي. اذ ما لم تتبدل الحالة النفسية الكلية فان اليوم لا يزال مستمرا. و هذا الزمن الافاقي الطبيعي الناتج من دورة الارض و الشمس لا يهمنا واقعا الا من الناحية الجسمانية و الاجتماعية, و ليس هذا من شأن دراساتنا القرءانية و للعالم الجسماني وسيلته و مناهجه. القرءان لم

ينزل ليكون دليلا في الفيزياء و الكيمياء. القرءان يمكن أن يستعير أو يستعمل رموزا من عالم الافاق ليدل على الأمور في العالم النفسي و الروحي. و لذلك, يقع في تحريف فادح الذي يعتبر أن الأوقات التي يذكرها القرءان تدل على أوقات افاقية. مثل "ليلة القدر" أو "شهر رمضان" أو "قبل طلوع الشمس" . فتأمل مثلا في هذه الاية و لاحظ العبث الذي ستراه فيها اذا اعتبرت انها تتحدث عن الوقت في عالم الافاق يقول "فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من اناء الليل فسبح و اطرف النهار لعلك ترضى" قوله "قبل طلوع الشمس" يغطي وقت الليل كله, اذ الليل كله يعتبر "قبل طلوع الشمس" افاقيا. و قوله "و قبل غروبها" يغطي النهار كله كذلك. فهذا يعني سبح بحمد ربك طول الليل و طول النهار أو أن لك الحرية في اختيار الأوقات التي تناسبك في هذه المساحة. هذا جيد. و لكن تأتي الى الكلمة التالية "و من اناء الليل" فهذا تكرار زائد لا حاجة له, اذ "من اناء الليل" تغني عنها "قبل طلوع الشمس". و كذلك "و اطرف النهار" يغطيها "و قبل غروبها". و معلوم أنه لا شيء عبثي أو زائد في القرءان. و من ناحية أخرى, فان هذه الاوقات الافاقية هي أمر عرفي وضعي لا برهان تام عليه. فمثلا, يوجد من المسلمين من يعمل بالتقويم الهجري و اسماء الشهور فيه, و يكون الشهر المسمى رمضان هو التاسع, و لكن يوجد أيضا مسلمين اخرين- و قد اطلعت شخصيا على اسلوبهم و حججهم و رأيتها جيدة فعلا- لا يؤمنون بهذا التقويم و يجعلون ليلة القدر هي اليوم الأول في تقويمهم السنوي و رمضان عندهم يقع في موضع اخر مختلف تماما مع المشهور عند جمهور المسلمين. و اذا سألت أحدهم: ما أدراك أن هذا الوقت بالضبط من السنة الافاقية هو "رمضان" الذي تحدث عنه الله؟ هل يوجد اية في السماء او في علم الفلك تظهر لتثبت ان هذا هو بداية شهر رمضان و تلك تدل على بداية شهر شعبان؟ لا يوجد أي دليل على ذلك. و اذا قلت ان رمضان يقع في الشهر الأول أو الخامس او الثاني عشر فكذلك يكون قولي لا برهان يثبته و لا برهان موضوعي ينقضه. فكلا القولين لغو من ناحية التحقيق. و لكننا نقبل بهذه التقاويم لأعمالنا الظاهرية الاجتماعية. و لذلك أيضا لا يوجد تقويم واحد. يوجد تقويم عبراني, و اخر جرجوري, و ثالث مصري, و رابع هجري, و هكذا. فالأوقات في القرءان ترمز الى اوقات نفسية و روحية. باستعمال أمثال جسمانية افاقية.

لماذا "حديد" على وجه الخصوص؟ يقول في صفات الحديد عنده "و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس " و حيث ان البصر متعلق بالقلب و اعضاءه من سماع و عقل و ذاكرة و غير ذلك. فان الحديد يرمز الى أمور علمية عرفانية. جعل القرءان خصيصتين للحديد: باس شديد, منفع للناس. و هاتين الصفتين هما ما يحتاجه البصر ليتحرر من السحر و ينكشف عنه الغطاء بل هما علامة المكشوف عنه الغطاء. فمن ناحية هو ذو "بأس شديد" و كم من الناس من يظل في ذل الجهل و الغفلة لأنه يخشى من تدمير افكار اباءه و مجتمعه او كبرياءه ذو البعد الواحد المريض الانفعالي, و كم من الناس من لا يرغب في الدعوة الى القرءان و المعرفة لأنه يخشى او لا يرغب في ازعاج الناس عن طريق التشكيك و الطعن في عقائدهم و مسلماتهم, و كم من المفكرين الناقدين ممن اذا جاء الدور عليه لينقد أفكاره التي يتبناها هو فانه يتساهل و يغض الطرف عن أمور و يتعامى عن أخرى. ما أكثر هؤلاء! بل ان

طول الحياة و الاطلاع الواسع يكاد يجعلنا نيأس من العثور على غير هؤلاء! الا ما رحم ربي, و قليل ما هم, و لعلهم من أصحب كهف هذا القرن. "بأس شديد" هذا ما نحتاجه في عقولنا كقاعدة منهجية. و قد أسميت هذه الفكرة "الصراحة الى حد الوقاحة" . و هذا لا يعني الشدة في استعمال اساليب الوعاظ و خفيفي العقول الذين يحسبون أن الشدة هي بالصياح و النواح, او ببذاءة الكلام و توزيع اللعن بالمجان و بكرم زائد. لا. الشدة البصرية هي شدة الحجة الفكرية و سبر الاعماق في النقد و تقوية الموهبة في الجدل و الترتيب و الواقعية. الصوت الهادئ ذو الحجة القوية أعلى من الصوت الجهوري ذو كلام الحمير "و ان أنكر الاصوات لصوت الحمير". البأس الشديد أمر قلبي بصري و ليس أمر جسماني. لا علاقة لغضب الجسم بايصال الفكرة القوية في مقام الدرس و العلم. نعم للخطابة و الوعظ شأن. و لكن الوعظ لا يؤثر الا في من هم على نفس عقيدتنا او لهم معنا مشتركات أصولية. و أما في مقام البحث العلمي و العرفاني فان الشدة تكون في العمق و الواقعية فقط.

و ثاني خصائص الحديد " و منفع للناس". يحسب الناس ان الحق هو ما تقوله النصوص لا لشئ الا لأن النص قال. و اخر يرى أن الحق هو للقوة الجسمانية فكما قال قائلهم الاعرابي "الحلال ما حل في اليد" و "الحق بالسيف ,و العاجز يريد شهود", و ثالث يرى أن الحق هو ما يشعر هو انه الحق و لو فيه تعدي على الاخرين. أما النص, فانه "وحي" و ليس قائل كما يتصور الناس. فان النص ماء, و لكن لون الماء هو لون الوعاء. و صاحب الوعاء الأحمر يريد أن يقتل كل من يزعم أن الماء ليس أحمر! و صاحب الوعاء الأزرق يرى انه لا أحمر من القائل بأن الماء أحمر! النص ملهم يوحي, و لكن هذا لا يكفي لاثبات الفكرة. اذ اننا نستطيع أن نجعل النص يقول ما نشاء في الغالب. و كل الطوائف ترى أنها مخلصة في اتباعها للنصوص. نعم, اذا وضعناهم كلهم على المحك و جمعنا أصحاب الطوائف ليقيموا مناظرة علنية, نعم قد نجمع بينهم الى حد كبير. و لكن جعل النص هو معيار الحق فقط لن يكون كاف بذاته. لأن الناس تتبع فهمها للنص و ترى انه عين النص. فالذي يريد أن يقتل المشركين فانه سيقرأ "اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم" و يقتلهم, و اخر لا يريد أن يقتل المشركين الا اذا اعتدوا عليه فسيقرأ "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه", و ثالث لا يريد أن يقتل أحد أصلا فسيقرأ "ادخلوا في السلم كافة" و "لكم دينكم و لي دين" و "لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك", و رابع يريد أن يقتل الافكار فسيتأولها باطنيا, و هكذا. و لا أحد من هؤلاء الأربعة سيرغب في السماع الى الاخر. بل اذا حاور الاخر فانه يريد أن يهديه سواء السبيل, سبيله هو. ائتوني بأي نص و أستطيع أن أجعله يقول أي شيء تريدونه أن يقوله. فاذا كان معيار الحق هو النصوص فقط فاننا في الحقيقة (و هذا هو الواقع الحالي) قد جعلنا الحق هو أمزجة رؤساء الطوائف و مصالحهم و عقدهم النفسية. و اما أن الحق بالقوة, فما أخذته اليوم بالقوة سيأتي غدا أحد و يأخذه منك بالقوة, و هذا غير العداوات و الالام التي ستنتشر في المعتدي الجبار و من حوله و بلده. و للأسف هذه هي أقوى نظرية اليوم, الا أنها تتستر وراء حجب كثيرة. و أما أن الحق هو ما تشعر به فأنا أشعر بانه علي أن أذبحك فما رأيك!؟. الحق

يجب أن لا يكون له الا معيار واحد و هو الذي بينه القرءان على انه الاسلم و هو: ما ينفع الناس. و أما من الذي سيحدد ما ينفع الناس فهذه ليست معضلة كما يحاول البعض أن يصورها. و قد عالجنا ذلك في مقالات أخرى فلا نكرر بلا فائدة, فباختصار: ما ينفع الجسم هو الغذاء الصحي و هذه لا تحتاج الى فلسفة, و ما ينفع العقل هو العلم, و ما ينفع النفس هو التناغم و التأمل, و هذا يعني أن منفعة كل شيء بحسب الشي نفسه. المسألة كبيرة و ذات تشعبات فلا نخوض هنا. الا أن مانراه الأسلم و بشاهد القرءان و منه هو أن معيار الحق هو ما ينفع الناس. و هذه هي الصفة الثانية للقلب السليم المكشوف عنه الغطاء, "منفع للناس".

فاذا كان للبصر عينين, فهما: البأس الشديد في أمور العلم, و جعل ما ينفع الناس هو معيار الحق.

و عندما يتبدل قلبك من حالة الغفلة و السحر و الخوف الى حالة البأس الشديد و ما ينفع الناس فان بصرك سيكون "جديد".

فالاخرة هي يوم الادراك و الفهم. الاخرة ليست حياة اخرى بالمعنى المشهور, و انما أسلوب جديد في عيش هذه الحياة. الاخرة وعي جديد, عقل جديد, قلب جديد, نفس جديدة. الاخرة الان. الاخرة هنا. الاخرة في الحياة الباطنية , لن يفهم هذا الكلام الا "من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد" "فذكر بالقرءان من يخاف وعيد".

(هل يريد الله ان يحاسب الناس بعد الموت؟)

لا أحسب انه يوجد أهم من هذه المسألة في الدين, اذ ان الايمان بالله كوجود مطلق أو طاقة أو حتى كرب للعالم بالطريقة الشخصية لا يكفي في الدين. بل يصر اهل الدين أن الايمان بالاخرة, بالتفسير المابعد الموت, هو ضروري جدا لا يمكن وجود او قبول الدين بحال من الاحوال بدونه. و هو يوم الحساب, فاما خلود في الجنة أو خلود في النار الى احقاب أو الى الابد على اختلاف بينهم. فتعالوا ندرس هذا الامر سويا لنرى الى أين سنصل.

من مسلمات هذه المسألة هو أن الله حق موجود. و انه قد أعد هذه الحياة لتكون دار ابتلاء و امتحان ليرى أينا أحسن عملا, و قد أعذرنا بارسال الرسل و الأنبياء لابلاغنا بوجود حساب بعد الموت, و أخبرونا كذلك عن الجنة و النار, و أن ابلاغهم هذا فيه الحجة المطلقة على الناس و ليس لأحد على الله حجة بعد ارساله للرسل.

1 لا نريد ان ننازع في مسألة وجود الله هنا, و لا نريد أن ننازع في كونه يهتم اصلا بالناس, فلنسلم بذلك مبدئيا و لتكون ككلمة سواء مشتركة بيننا و بين أصحاب فكرة الحساب بعد الموت. ما أريد أن أنازع فيه هو هذا: هل الله قد أتم الحجة على الناس فعلا؟ أي هل الناس قد أعذروا و تم ابلاغهم بيقين لاشك فيه أن الحساب موجود, و أن النار و الجنة حق, و أن الاوامر الفلانية هي من الله و أن الذي يعصي هذه الاوامر سيدخل الى النار؟ جوابي على كل ما فات هو هذا: لا! و ها هو التفصيل.

أولا, ان الله اذا عمل عملا أتقنه و أحسنه و بلغ فيه الغاية القصوى. و أي عمل فاشل او شبه فاشل لا يمكن نسبته الى الله العليم الحكيم القدير. بل هو من صنع البشر المحدودين أصحاب الأهواء بطبيعتهم. و اذا أراد الله أن يقيم الحجة على الناس بأنه يوجد نار و جنة و حساب, فان الطريقة التي كان سيستعملها هي أن يبلغ هو شخصيا كل شخص عن هذه الدار الاخرة. كأن ياخذ كل انسان حين يبلغ سنا معينة الى ذلك العالم, و يريه النار و الجنة, و يعطيه الاوامر, كما فعل في قصة الاسراء و المعراج المزعومة لمحمد عليه السلام. فبالرغم من ان دراستنا لتلك القصة من الناحية القرءانية و العقلية و الواقعية قد أثبت انها باطلة الى حد بعيد, و لكن مع ذلك فان العبرة المجردة في هذه القصة حق, و هي أن الله أخذ انسانا و اصعده الى العالم السماوي و اراه كل شئ, و أشهده على وجود الجنة و النار, و أعطاه الأمر الذي يجب طاعته و أراه العذاب الذي سيحل بالذي سيعصي. نعم, هذه حجة بالغة. و هذه

فقط. و لكن ما يقدمه أهل الدين ليس فيه مسحة من الحجة الربانية. ان مسائل الدين كلها يمكن ان ينازع فيها, بل أهل الدين هم أول من ينازع فيها, بداية من معنى الوحدة الالهية (هل هي وحدة شخصية أم تشكيكية أم عددية) الى اماطة الأذى عن الطريق (هل هو فرض عين ام فرض كفاية أم مستحب!) و يمكن أن ننازع في أي مسألة و نشكك فيها ليس من باب العناد و لكن من باب الدراسة و التحليل و المقارنة و التدقيق. فالقول بأن بضعة رجال من غابر الأزمان ادعوا أن الله سيخلق حياة أخرى و يحاسب فيها, هي دعوى فيها الكثير من الشطط. هم يقولون ان الله يريد ان يجعلنا نوقن بنتيجة و لكنه لم يحكم المقدمة, يريد ان ينبت ثمرة و لكن لم يحسن زرع الشجرة, يريد أن يصل بنا الى هدف بدون سلوك الطريق الاسلم. الله يريدنا أن نوقن بوجود الأخرة "و بالاخرة هم يوقنون", و الطريق الذي يدعون ان الله سلكه للوصول بنا الى هذا اليقين هو واقعا طريق لا يوصل الى يقين و لا شبه يقين, بل ان الشك يحيط به من كل مكان, بل اننا لنعلم حقيقة من اخترعه و لماذا اخترعه. فأي يقين هذا ؟!

ما هو هذا الطريق الذي يدعون ان الله سلكه للوصول بنا الى اليقين بالاخرة؟ مشاهد طبيعية مثل نزول المطر لاحياء الأرض بعد موتها و كذلك البعث و النشور. ايات قرءانية تثبت وجود الاخرة. الاعتماد على حس العدل و انصاف المظلومين. أن محمد رأى الجنة و النار في رحلة المعراج و بينها لنا. حسنا تعالوا ننظر في هذه الحجج واحدة واحدة.

أما مشاهد الطبيعة كنزول المطر. من المعلوم عند أهل الفهم أن ضرب الأمثال ليس حجة يقينية. اذ يمكن ان نصمم أمثال على أي فكرة نريد اثباتها. فالمثل لا يخلق الممثول او يثبت تحققه يقينا, بل الممثول يخلق المثل و يسند وجوده. أي نزول المطر و احياء الأرض بعد موتها لا يدل على وجود حياة بعد موت الجسم بذاته. انما يدل عليه لأننا نحن مسبقا نريد أن نجعله يدل عليه. فاذا كنا نريد أن نثبت وجود حياة بعد الموت قد نختار أن نستدل عليه بهذا المثل الافاقي الطبيعي. و لكن اذا كنا نريد أن نثبت عدم وجود حياة بعد الموت او ان نثبت أن هذه الحياة هي الحياة الوحيدة و بعد هلاك الجسم لا يوجد شئ يمكن ان نمثل لذلك أيضا بمشهد افاقي طبيعي كاحراق النار للخشب. فنرمز للانسان بالخشب و نرمز للموت بالنار, و كما ان النار اذا اكلت الخشب فانها تهلكه و لن يرجع بعدها كما كان, فكذلك الموت يهلك الانسان و لن يرجع بعد ذلك كما كان. فالأمثال لا تكون حجة الا على ما نريد أن نجعله نحن حجة. و في أقصا الأحوال و التنازلات فان ضرب الأمثال لا يكون جالب لليقين.

و أما ايات القرءان. أولا ان كل الايات التي يدعى أنها تحكي عن حياة بعد موت الجسم هي كما نرى فعلا انها تتحدث عن الحياة الباطنية و لنا في ذلك بحوث طويلة و مفصلة في مواضع شتى. فأي يقين بعد هذا ؟ ثانيا, حتى لو سلمنا ان القرءان يدعي وجود اخرة بعد الموت فان هذه الدعوى تحتاج الى برهان. فان قلت أن ثبوت القرءان انه من عند الله بالاعجاز الذي فيه يدل على أن كل ما فيه حق و بالتالي الحياة بعد الموت حق, أقول: و من قال لك أن

الاعجاز على فرض ثبوته يبرهن على ان القرءان من الله؟ ان كل هذه الاعجازات التي يتحدث عنها اهل الاسلام يمكن أن ينازع فيها, و حتى اذا سلمنا بوجود كل الاعجازات فان أقصا ما يثبته هذا هو أن القرءان ليس من عند بشر, و يوجد فرق كبير جدا بين أن تثبت أن القرءان ليس من عند بشر و بين أن تثبت ان القرءان من عند الله. ليس من عند بشر لا يعني بالضرورة انه من عند الله. قد يكون من عند ملاك أو شيطان أو جن او كائنات اخرى لا نعلم عنها, أو قد يكون اتصال قلب النبي بقوة نفسية عالية لا يصل اليها عامة البشر, و غير ذلك من احتمالات كثيرة. و أصلا, الادعاء بأن الله أوحى الى شخص او أشخاص معينين هو دعوى غير ثابته بل قد تصل الى حد ان من يقول بها يكون كافر بالله العظيم كما بينا في مقالات اخرى. فالقرءان لا يكون حجة في هذا الشأن, فضلا ان يكون حجة يقينية قاطعة بذاته. ان القرءان نفسه يجعل معيار صدق الفكرة هو "سنريهم ءايتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" أين هذا من اثبات دعاوى تذهب الى ما بعد الموت و كما قيل في الامثال "من احال على الغيب اعجز" , و أين هذا من قول النبي " لا أدري ما يفعل بي و لا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي". فالقرءان حمال أوجه, و يوجد وجه قوى جدا فيه يقول أن الاخرة هي الحياة الباطنية و هي رموز على هذه الحياة بكل أبعادها. و حتى اذا فرضنا أن رؤيتنا هذه غير صحيحة, فان وجود حساب بعد الموت يكون مجرد دعوى من القرءان لا دليل يقيني عليها. و انما في اقصا الحالات هو قرائن و استجداء للعواطف. و معلوم ان مثل هذا لا يكون جالب لليقين أبدا.

و أما الاعتماد على حس العدل و انصاف المظلومين. فهذا لا يثبت وجود اخرة و لكنه يثبت أن في العالم هذا شر. و قد يدل على انه لا يوجد أحد متحكم في سير شؤون هذا العالم, أو ان حاكمه شرير يستمتع برؤية المعذبين لسبب أو لاخر. و اذا كنا سنثبت وجود حساب اعتمادا على تعريفنا البشري للعدل و انصاف المظلومين, حسنا, فلنعتمد على تعريفنا البشري بل الالهي للرحمة و الحب و الشفقة على الظالمين و غفران خطاياهم لاثبات بطلان وجود الحساب! أليس من الرحمة بالظالم ان لا يحاسب؟ نعم. حسنا فيجب ان نتخذ هذا كدليل على ان الله لن يحاسب. و ظاهر ان هذا منطق سقيم فكذلك أخوه الذي طالما استعمله الناس و لا يزالون يستعملونه. ثم ان استعمال الرغبة في انصاف المظلومين في حياة أخرى هو من اكبر أسباب يقيننا او شبه يقيننا بأن الظالمين و الطواغيت هم الذين اخترعوا فكرة الحساب بعد الموت هذه: حتى ينجوا من حساب الناس قبل الموت!! ثم اذا كان ظلم الانسان للانسان يعني أن الله سيخلق حياة اخرى ليقتص للمظلوم من الظالم, أقول: فماذا عن ظلم الطبيعة للانسان؟ و بما ان الدين لا يؤمن بوجود الطبيعة كمفهوم مستقل, بل الله هو فاعل كل شئ و مدبر كل شئ, حسنا, فماذا عن ظلم الله للانسان؟ قد تقول ان الله لا يظلم الانسان. فاذا ما هو ظلم الانسان للانسان الذي جعلتموه سببا لخلق حساب؟ أليس هو كمثل القتل و السرقة و السب و الاضطهاد ؟ نعم. كل هذه الأمور يمكن ان تندرج تحت بند واحد و هو: ارهاق الانسان في الحياة او اخذها منه. ان الطبيعة او الله هو أول مرهق للانسان. و لعل الاله كان من أكبر أسباب القتل و النهب في التأريخ الى يومنا هذا. ان هذا العالم مرهق للانسان دائما و ان خف ارهاقه في فترات. فمن سيقتص لنا من ظلم الرب لنا و خلقه لهذا العالم المليئ بالعذاب و الكدح النفسي و الافاقي و الروحي؟ هذا الانسان الذي يسرق من

انسان اخر, لماذا سرق؟ اما لانه يريد أن يعيش, و هذا سببه عدم تيسير المعيشة في نفس نظام الكون, فالله لم يخلق الأرض و وسيلة المعيشة ميسرة فيها و كان قادرا على ذلك, كأن يجعل لكل انسان انهار في بيته و شجرة تنبت له ما يشاء من طعام, الله قادر على كل شئ و هو كريم لا تنفد خزائنه. و اما أنه سرق لأنه يريد ان يباهي و يفاخر الناس بما يملك من مال, و هذا بدوره يرجع الى نقصان الموارد في الطبيعة و صعوبة تحصيلها مما يجعل المحصل لها و المالك لها أعظم في نظر الناس من الفقير المعدم مثلا. فاذن كل سرقة ترجع الى ظلم الطبيعة أو بخلها, و بما أن أهل الدين لا يحبون كلمة الطبيعة فلنقل ظلم الرب و بخله. و لن نقبل مزاعم الحكمة , أي ان لله حكمة في عمله هذا. كان بامكانه أن يخلق العالم بحيث لا تخطر أصلا فكرة السرقة على بال أحد, و لكنه لم يفعل, بل خلقه بطريقة تكون السرقة فيه من الضرورات او المستحبات. فهل ظلم الانسان أخيه الانسان الا لأن الرب ظلم الانسان من قبل؟ و لم نسمع يوما ان الرب سيقتص من نفسه يوم القيامة! و بسبب هذه الأمور البينة بالرغم من انها قد تصدم البعض, فان هذه الامور لم تغب أبدا عن أعين خالقي الأديان, و لذلك اجترحوا لأنفسهم شتى أنواع العقائد لتبرير وجود هذا العذاب, و لعل خير ما قالوه هو أن الانسان (ادم) كان يعيش في جنة لا يجوع فيها و لا يعرى و لا يظما فيها و لايضحى, و لكنه بسبب معصية الله استحق أن يطرد من الجنة و يهبط الى هذا العالم القبيح ليشقى. نعم, ان اهل الدين يعلمون أن هذا العالم شقاء. ان مجرد التواجد فيها شقاء حتى لو كنت ملك الملوك. أليس ملك الملوك يمرض و ينام و يرى الكوابيس و يمارس الكبت الجنسي على نفسه ضرورة في بعض الأحيان و المواضع, و كذلك يمارس الارهاق ليقمع الثوار و ينافق الناس و يحتمل نفاق الناس له و غير ذلك كثير جدا. فهذه الحياة ليست شقاء فقط على الفقراء و الأرامل و الأيتام كما يتصور البعض من المغفلين المتخدرين, ان هذه الحياة شقاء بذاتها بغض النظر عن مكانتك فيها فوق الريح ام مدسوس تحت التراب مع الموؤدة-رضي الله عنها! فكل ما نسميه ظلم في هذه الحياة انما بدايته من الطبيعة او الرب ان شئت, و علاجه الشامل الوحيد انما هو بيد الله. فالشر ليس الا من خلق الرب , و هذا معروف بداهة اذ ان الله خالق كل شئ, و أيضا معروف من القرءان الذي يقر بذلك "قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق". فالذي يزعم انه يتبع القرءان و لا يقر بأن الله هو خالق الشر انما هو سفيه من أنصاف المتدينين. فاذن وجود الظلم في العالم لا يثبت و لا حتى من قريب ان الله الخالق سينصف الناس في يوم اخر. و هل ينصفهم من نفسه؟ "لا يسأل عما يفعل" جل جلاله!

و اما ان محمد رأى الجنة و النار في المعراج. ففضلا عن ان هذه القصة لا تثبت في سياق التاريخ و القرءان, فحتى اذا تنازلنا و سلمنا بأن محمد قال فعلا أنه رأى هذه الأشياء, فان أقصا ما في ذلك هو أنها حجة على محمد نفسه فقط. الله اراه ذلك فهو حجة عليه فقط. و بالعكس, كون الله اراه ذلك هو ما يعزز مطالبتنا بان يرينا الله ذلك أيضا. فاذا كان الله لم يري أحدا فان مطلبنا قد ينازع فيه بأن يقال: ان لله حكمة في عدم اطلاع احد على وجود الجنة و النار. و عندها سننازع في هذه الحكمة المزعومة. و لكن كون الله ارى محمدا عليه السلام ذلك هو مما يقطع

لسان هذه الحجة و يجعل مطلبنا معززا مكرما فوق عزته و كرامته الأصلية. اسألكم بالله ربكم: ما الذي يمنع الله بأن يأخذ كل انسان في رحلة المعراج هذه ليرى جسمانيا كما رأى محمد فيكون عنده من اليقين كما كان عند محمد؟ ان الله خلق كل انسان فردا, و حسب القرءان سيبعث فردا, و يموت فردا, و يرزقه فردا, فاذا جاء الأمر الى اثبات و تعليم أحد أكبر أصول الدين جعل الله مرتكز الامر "قال فلان"!! يا ويلنا من هذه القاعدة المتهالكة التي لا تقوم عليها شعرة فضلا عن ان يقوم عليها يقين! افترضوا اننا لا نعلم شسيئا عن القرءان و الاسلام و لا الله و لا شئ, و جاءنا محمد اليوم و قال لنا أن كائنا عظيما و هو خالق كل شئ عرج به الى السماوات و أراه كل شئ, ماذا ستكون ردة فعلنا؟ فكر في الأمر جيدا و دع عنك عواطفك الدينية قليلا. الان تصور ذلك. ماذا سنقول له؟ اني شخصيا سأقول له: هل عرجت بقوتك و اختيارك ام بقوة الله و اختياره و رحمته؟ سيقول محمد: بل بقوة الله و اختياره و رحمته. سأقول: و هل رحمت الله ضيقة لدرجة أنها لا تسعك الا انت؟ سيقول: بل رحمت الله تسع كل شئ. سأقول: فاذن اخبر ربك العزيز الرحيم ان يعرج بي و بباقي الناس أيضا كما عرج بك حتى أصدقه و أصدقك و أنا سأكون من أول أتباعك و المخلصين لربك. و احسب عندها انه سيسقط في يده و لن يحير جوابا!

فلاحظ كيف أن النتيجة المرغوبة لله –حسب هذه النظرية- هي أن يوصلنا الى اليقين التام بالحياة الأخرى. و لكن كل الطرق الملتوية المعوجة التي يزعمون ان الله اتخذها هي طرق لا توصل الى شئ او على الأقل لا توصل الى النتيجة المرغوبة لله. فكأن الله عجز عن ان يرسم لنفسه طريقا كاملا للوصول الى ما يريد! تعالى عن ذلك.

بدل كل هذه الطرق المعوجة المضللة التي لا توصل الى شئ فانه بامكان الله أن يقول بأمر بسيط جدا عليه و هو هذا: أن ياخذ كل انسان في رحلة معراج سماوية, و يعطيه أوامره مباشرة, و يريه الجنة التي سيدخلها اذا حافظ على الاوامر, و يريه العذاب الذي سيدخله اذا عصى الأوامر. و عندها لن نرى ملحدين, و لن نرى مكذبين, و لن نرى مشككين, و لن نرى أحدا يزعم أن الله يعاقب بدون أن يكون قد أثبت حجته او أن عقاب الكفار هو ظلم و ما الى ذلك. بل ان الحجة عندها ستكون فعلا تامة. و لا يوجد أحسن و لا أبسط من هذا الطريق او ما يشبهه في أصله. و كاني بقائل يستشهد باية "و لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون" أقول لهذا الاخ الكريم: كما ان الله جعل محمد يستيقن و لا يقول انه مسحور فكذلك ليتخذ الله نفس هذه الوسيلة ليجعل كل الناس مستيقنين اذا عرج بهم الى السماء. ثم ان هذه الاية تحكي عن المعاندين الذين قرروا مسبقا انهم سيجحدون و ان رأوا كل اية, و معلوم ان هذا لا ينطبق على كل الناس, بل ان الله اذا ارى انسان تلك الحياة فعلا فأغلب الناس او كلهم سيوقنون كما تزعمون انهم سيوقنون في يوم الحساب !

و لكن حيث ان الله لم يفعل ذلك, فان الادعاء بأن الله يريد للناس ان يوقنوا بالاخرة و أنه قد أعذرهم بارسال الرسل و ما الى ذلك, انما يدل على أحد امرين لا ثالث لهما: اما ان الناس كذبوا على الله (و هو ما نذهب اليه), و اما ان الله لم ينجح في اختيار الطريق الأقوم للوصول الى غايته (و هو ما يذهب اليه بلسان الحال أهل دعوى الحساب بعد الموت). و بما ان الفشل و الغباء في اختيار الطريق الأقوم ليس من صفات الله جل جلاله, بل هو من صفات البشر اصحاب الأهواء و المصالح و الغباء المستبد فاننا من هنا نعرف أن هؤلاء الناس لا يعرفون الله بل و لا يعبدونه فعلا, بل اذا عرفوا الاله الحق فانهم يكفرون به "و لقد جئناكم بالحق و لكن أكثركم للحق كارهون". هؤلاء يعبدون غبي و لا يعبدون الله. و للأسف فان الله الحق يرغب فعلا في وجود عالم معذب, و ليس لنا الا التسليم بذلك, اذ هو الله و نحن مخلوقاته, قد ننكر وجوده, قد نسبه, قد لا نبالي به و نسفهه, كل هذا لن يغير من الحقيقة الواقعية شيئا. فأحسب ان التسليم و الرضا بالواقع هوفاتحة الطريق الأقوم للحياة "اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العلمين".

لو كان ثمة اخرة و حساب بالمعنى الذي يقولونه فان موسى سيذهب الى جهنم لانه قتل نفسا بغير حق, و لا أحسب ان الرجل المقتول الذي هو عدوه سيعفوا عنه, و لو قيل ان الله سيرضي هذا الرجل باعطاءه العطايا فان هذا ظلم, و لو قيل ان الله لن يبالي بظلم موسى للرجل المقتول فان هذا ظلم. خذها على اي وجه فسترى اما ان موسى سيؤول الى جهنم (و معه ملايين المؤمنين بالله المجاهدين في سبيله الذين ذبحوا الناس و نهبوا بلادهم و طغوا عليهم و كذبوا عليهم باسم الدين) او ان الله ظالم و العياذ بالله. ان كل من ينظر في طبيعة النفس و التأريخ و الواقع يرى انه اما ان الله سيدخل كل الناس الى الجنة او ان كل الناس ستذهب الى النار. بالمعنى المشهور للجنة و النار. فالناس ترغب في القتل و ارتكاب المحرمات و الكفر و لكن يمنعها من الجهر بهذه الأمور كلها او بعضها : الخوف من الناس او العجز عن التنفيذ .و غير ذلك من موانع لا علاقة لها باصل الرغبة في النفس. و انظر الى الذين يملكون من السلطان ما يجعلهم لا يخافون من الناس و يملكون من المال و الاتباع ما يجعلهم يستطيعوا ان ينفذوا ما يشاؤون ثم انظر الى مقدار التقوى و السلام فيهم!! و ان وجد مثلهم فما اقلهم! فيا ظلم الرب الذي لا يحاسب رجلا رغب في القتل فامتنع لانه لم يقدر او خاف من العقاب, و يحاسب الرجل الذي رغب في القتل فقام بتنفيذه. و لعل في قوله "و ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله" اشارة الى هذا المعنى, و لو يحاسب الناس بما في انفسهم (بالمعنى المشهور للحساب) فوالله لا يبقى انسان الا و هو في قعر الجحيم! و من هنا قام الاحزاب بنسخ هذه الاية و الغاء معناها بقصة يرونها عن نبيهم و رجالهم. يقول المحلل النفسي فرويد كلمة عظيمة و عميقة لا يدركها الا الدارس " أخلاقك احسن مما تصور, و اسوأ بكثير مما تتخيل!" يقصد انك في بعدك الواعي الشعوري المحكوم بالمقاومة النفسية و العقلية الاجتماعية تعتبر حسن الخلق بالمقارنة مع رغباتك الحقيقة الباطنية اللاشعورية المليئة بالاجرام و السفاح و امور لعل الشياطين تستحي منها. لو يحاسب الناس بما في نفوسهم لهلك كل الناس, و لو لم يحاسب الا الذي ينفذ ما في نفسه فان هذا ظلم من خالق الناس للناس. و حيث ان الثاني ممتنع (قرءانيا على

الاقل), و الاول ممتنع (عند اصحاب نظرية الحساب بعد الموت على الاقل), فاذن فكرة الحساب بعد موت الجسم باطلة حتما, اللهم الا ان يقال بان الله ظالم و لا يبالي (و القرءان يرفض هذا, و لا احسب ان دينا محترما يرضاه), و اما ان يقال ان كل الناس ستهلك في جهنم مخلدين فيها (وهذا ايضا يرفضه القرءان, و كل دين يجعل انبياءه في الفردوس و اتباعه من المغفور لهم!).

قد يقال ان ان الطاغية و جنوده السفاكين يجب ان يعاقبوا على فعلهم هذا و ظلمهم للناس, اقول: اولا, من من الناس اذا وصل الى هذا المنصب لن يظلم الناس و يفعل كل ما يستطيع لكي يبقى في السلطة؟ اروني كائن يستطيع ان يرفع رأسه و يقول انه لن يفعل ذلك, و الله يعلم الحق. و ثانيا, ان الطاغية يعتقد انه من منفذي الارادة الالهية و مشيئة التاريخ و الحفاظ على الدين المثالي و المنع من الافساد في الارض و الهداية الى سبيل الرشاد و غير ذلك من الشعارات الرنانة التي يعتقد هو بها فعلا على الأغلب. فدين الاله على مر التأريخ كان و لا يزال للاسف يمارس اكبر اعمال الدعوة الى الطغيان و تبريره. و ثالثا, اذا وصل الرجل الى منصب السلطة فانه لا محالة سيطغى و يسفك الدماء و لا يخرج عن هذه القاعدة نظام حكم واحد في التاريخ, و ما قامت دولة الا بسفك دم و ما بقيت الا بسفك دم او تهديد بسفك دم و سرقة و نهب و استغلال. و اذا رجعتم الى سيركم النبوية و خلافاتكم الراشدة سترون هذا جيدا و لا حاجة لفتح ملفات تفصيلية و انتم تعلمون جيدا ما أعني. و اذا كان رجلا لم يصل الى منصب السلطة و كان من المسالمين و محبي الخير الذين يناقشون الحجة بالحجة و يعلمون الناس ان يعطوا خدهم الأيسر لمن يصفعهم على خدهم الايمن, اقول: هل حصل هؤلاء على السلطة و بقوا على قيمهم هذه؟! ان هؤلاء اذا تسلموا السلطة تحولوا الى وحوش مثلهم مثل سابقيهم و لا شك ان كل الادلة النقلية و العقلية و الوحيانية ستكون من المؤيدين لهم على استعمال العنف و قتل المعاندين للدولة و مثيري الفتن في الوطن الحبيب –قبحهم الله! و اذا لم يتسلموا السلطة و يروا الاف بل ملايين الناس تحت حكمهم ثم يظهر لهم معارض لحكمهم مهدد لهم بالزوال فان زعمهم انهم مسالمين يكون من اللغو, هذا كمثل القول على رجل مخصي عنين انه من اهل التقوى و العفاف!! ثم لا ننسى انه لولا النقص في الموارد الطبيعية و احتكار المعرفة الالهية و عدم تنزل الوحي على كل فرد بنفسه , و هذه كلها اعمال مباشرة لله لا يحكم فيها غيره حسب المعتقد, هذه الأمور كانت و لا تزال هي اكبر اسباب الطغيان و الدافع الرئسي له و محور التنظير للطغيان بانواعه السياسية و الوحشية و الدينية و المعرفية. فاذا كان احد يستحق ان يعاقب على الطغيان الذي يمارسه الناس فهو رب الناس لا غير او على الاقل بالدرجة الاولى. اذ السبب الاول الفاعل هو المستحق الأكبر للعقاب, و ما البقية الا اثار لفعله و ارادته. هذا لا يعني ان الناس لا يملكون حرية الاختيار, و لكن يعني ان الاختيارات عندهم قليلة جدا تدفعهم بسبب قلتها الى الطغيان بوسيلة او باخرى. و من الذي جعل هذه الاختيارات قليلة؟ الله عز و جل. فسروا عمله هذا كما يحلو لكم, قولوا ابتلاء قولوا لحكمة خفية قولوا و اخترعوا ما تشاؤون, المهم لا تزعموا ان الله سيعاقب على الطغيان الذي هو سببه الأول و الاخر و الظهر و

الباطن. و بالتالي لا حجة على من يحتج بهذا الكلام على وجود حساب. و هل سيحاسب الله نفسه؟ لعله يفعل و يعفو عنا اجمعين بل و يعتذر لنا في النهاية و يدخلنا جميعا في نعيم مقيم! هذه خاتمة حسنة لقصة هذه الحياة الناقصة المعذب اهلها! أضيفوا نبؤتي هذه لقائمة التكهنات الأخرى التي يقدمها رجال الدين و المتفلسفين في هذه المسألة!

2 قد تقول: و لماذا يريد الله أن يعذب الخلق؟ هذا سؤال كبير و قد فصلنا بعض أهم مقدماته و اجزاءه في مواضع اخرى فسنكتفي فبالاشارة المجملة هنا.

الله مطلق لامتناهي, أراد أن يرى نفسه, فخلق الخلق, و الخلق بذاته محدود متناهي, و بذلك فقط يمكن أن يكون مرآة للخالق. فالخالق ينظر في الخلق و حدوده فيرى نفسه اللامحدودة و يستمتع. كل عذاب الحياة هو في كلمة واحدة: الحدود. فكل شئ محدود, و هذا هو منشا كل عذاب و شقاء في الحياة لكل مخلوق. فعذاب الخلق هو امر ذاتي له و ليس باختيار الله, اذ هل يستطيع الله أن يخلق محدودا غير محدود؟! هذا مستحيل طبعا, و كما يقر كل علماء الذات الالهية أن قدرتها متعلقة بالممكنات فقط و ليس المستحيلات, و هذا ليس حدا لقدرتها حتى و ان أظهر الكلام انه حد لها. انما هو لعب بالكلام. الله مطلق القدرة. و لكن قدرته متعلقة بالممكنات فقط و ليس المستحيلات. و خلق عالم لا عذاب و لا نقص فيه هو من المستحيلات. و مصدر سلوانا الوحيد هو أن نعرف أن وجودنا يسبب فرحة لله. فعذابنا و نقصنا و شقاءنا هو مجلبة لفرحة و متعة الله لأنه يرى ذاته بنا و عن طريقنا. فنحن و الله كمثل المعشوقة و عاشقها, فالمعشوقة تتحمل كل عذاب و احتقار و ذل في سبيل رضا و سعادة عاشقها. و علمنا بأن وجودنا هو سبب لفرحة الله و أن عدم وجود الخلق هو سلب لفرحة من الله يجعلنا نسلم و نرضا و نتحمل شقاء الحياة و نحن نقول بلسان الحال لله: طالما انك راض فلا أبالي! فبغض النظر عن فعلك في الحياة, و بغض النظر عن اي شئ تفعله او تؤمن به, هذا كله لا يهم, ان وجودك بذاته مصدر فرحة لله, مجرد وجودك أيا كان ما تفعله في هذا الوجود. و لذلك فان فكرة الحساب كما يتصورها الناس هي فكرة ليس فقط مرفوضة و لا برهان عليها و أن لوازمها كفر في كفر, فانها ايضا سخيفة و مضحكة عند من يعرف جوهر الوجود. يحاسبنا على اننا قمنا بأمور بسبب محدوديتنا! أي سفاهة هذه, الخلق أصلا محدود. فهل يسبب الله الأمر ثم يعاقب على الأثر الطبيعي المترتب عليه؟ نعم, نحن الناس نعاقب بعضنا بعضا, نحن نحاسب بعضنا بعضنا, و هذا امر جيد الى حد كبير, اذ انه يساعد في تخفيف عذاب الحياة الى حد ما, و لكن عندما ننظر للأمر من وجهة نظر الله و بعينه فان الأمر يصبح سخافة و ظلم محض و كفر به تعالى.

فالله لا يريد أن يعذبنا انتقاما أو كرها او غضبا, حاشا لله. الله يريد أن يرى نفسه, و نحن وسيلته في ذلك, نحن كالمرآه له. و لنكون مراة يجب ان نكون مخلوقين محدودين ناقصين. فاذا لم نعرف سر هذا الخلق المحدود الناقص و الذي لا سبيل الى غيره (و هذا سر قول البعض "ليس في الامكان أحسن مما كان") فاننا سنكون معذبين جدا, و لكن اذا عرفنا السر فاننا سنتحول من العذاب بسبب النقص الى العذاب بسبب العشق. و شتان بين ذل العبودية و عشق الالوهية! فالعبودية عذاب في عذاب, و لكن العشق نعيم في عذاب, بل يصبح العذاب عين النعيم و النعيم عين العذاب. فالعلاقة بين الله و الخلق هي علاقة عشق. فقط لا أكثر و لا أقل. و هل يوجد اكثر و أكبر من العشق!

فقول العارفين: طهر قلبك حتى يكون مراة لله, هو قول غير دقيق و قد أبعد البعض عن الجوهر. أنت مراة لله سواء كان قلبك كقلب ادم ام كقلب ابليس, كقلب فرعون ام كقلب موسى, كقلب محمد ام كقلب ابولهب. و لكن الادق ان يقال: طهر قلبك حتى تفهم سر كونك مراة لله, أي حتى تتبدل أرض قلبك من كونها مسرحا لظهور الشقاء و الصراخ بسبب المحدودية و النقص في الحياة, الى أن يصبح أرضا جديدة, كلها عشق فوق عشق. و عشق تحت عشق. و عشق في عشق. و لا يوجد ورءا هذا شئ. اذ هو الماوراء كله.

لقد درست كل النظريات التي تفسر هذا العالم, و وجود الشر في هذا العالم, و كلها لا تساوي فلس اذا حللتها فعلا. فمنهم من ينكر الله بسبب وجود الشر, و كانه بهذا قد فسر كل شئ! و منهم من يثبت الله و ينكر ان الله خلق الشر, فوقعوا في أكبر مما أرادوا الخروج منه! و منهم من يثبت الله و يثبت ان الله خلق الشر و لكنه يزعم أنه في الاخرة سيصحح الله الموازين كلها, و هذا أسخف من صاحبيه, اذ انه اقر بكل المقدمات ثم اختلق نتيجة لا تقوم الا في قلب أعمى عن قواعد البرهان! ان السر كامن في وجود الشر, و هذا من أسرار كون كلمة "السر" هي نفس كلمة "الشر" و الفرق تنقيط فقط. فالسر في الشر. و لم أرى أحسن او أجرب أحسن من هذا الذي ذكرته قبل قليل. فانكار الله هو انكار للوجود و هو سخافة ظاهرة, الا ان كان المنكر يقصد انكار هذه الحروف العربية الأربعة فعندها نفهمه ان هذا مجرد اسم و ليس الجوهر او ان كان ينكر الله كما يتصوره البعض على انه اله مختص بالعرب و ما شابه فعندها يكون انكاره صحيح من هذه الزاوية. و انكار وجود الشر يعالج بأن نذبح ابن هذا المنكر و نغتصب زوجته و هو يرانا نفعل هذا ثم نأتي بكلب أسود و نجعله يغتصبه ثم نقطع له جسمه , ثم نخبره "ان في الحياة أسوا من كل ما فعلناه بك أيها الحمار!". و أما اثبات اخرة بعد الموت فقد فصلناه في هذا المقال و غيره فلا نعيد.

و يوجد من سيقول انه في الجنة بعد الموت ستذهب كل هذه النقائص و المحدودية اذ في الجنة "لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد", أقول: أولا وجود الاخرة هذه لم يثبت. و ثانيا على فرض وجود حياة, فحتى هذه الحياة ستكون عذابا, لان وجود الخلق كما بينا هو بحد ذاته عذاب. تقول "لهم ما يشاؤون فيها" لماذا يشاء الانسان أصلا؟ لماذا نطلب أي شئ؟ لأننا نشعر بنقص, نشعر بألم, و نريد ان نجبر هذا الألم و نمحو هذا العذاب و نكمل هذه الرغبة فلذلك نشاء. حسنا, فاذن حتى في هذه الجنة المزعومة ايضا يوجد نقص و ألم و عذاب بدليل بسيط و هو وجود المشيئة و وجود الرغبات. فلا اكثر من ان تكون هذه الحياة هي كهذه الحياة اللهم ان موضوع الرغبة متوفر دائما و ليس كهذه الحياة, و لكن هذا كله على المستوى الظاهري فقط, اذ الرغبة هي أمر نفسي, و عدم تحققها يسبب الم نفسي, و ما الطلب الخارجي الا من وسائل تسكيت هذا الألم. فتوفير الأغراض الخارجية للمخلوق هو كتوفير الطعام و النكاح للمسجون المأسور, ان كونه في السجن و الأسر هو عذاب بحد ذاته بغض النظر عن احوال السجن و الأسر. المحدودية و النقص ليس امر خارجي متعلق بالاغراض, و لكنه امر ذاتي, فكونك مخلوق أي بدل ان تكون فانيا في ذات الله كمثل الأمور التي لم يخلقها الله أصلا, هو ذاته عذاب. و ثالثا, هل من الممكن اصلا ان يتحقق قوله "لهم ما يشاؤون فيها"؟ لا ارى ذلك في حياة أبدا. فماذا لو شئت ان اكون انا الله؟ أو أن يدخل احد الأنبياء او الصالحين ممن كنت اكرههم الى جهنم؟ ماذا لو شئت ان اخرج ابليس من جهنم؟ ماذا لو شئت ان اكون اعظم اهل الجنة و بقية الناس خدم لي؟ حسنا, سأسير على كل الفرائض و النوافل و الطاعات كبيرها و صغيرها, الأمور التي أستطيع التحكم بها, و لكن اذا دخلت الى هذه الجنة سأشاء أمورا كثيرة تتعارض مع مشيئة الاخرين بل مع الحقائق المقررة. و من من الناس السليمي النفس لا يريد ان يجرب الحياة على انه الله؟! من لا يريد أن يجرب ما هو احساس القدرة المطلقة و الذات المطلقة؟ فهل هذا ممكن؟ بالطبع لا. اذ الله واحد احد و يستحيل ان يكون الواقع غير ذلك. و رابعا, الن يمل الناس من وجود كل الرغبات في كل وقت الى ابد الابدين؟! لعل هذا هو سبب اطلاعهم على اهل جهنم و هم يعذبون, لكي يقارنوا انفسهم بهم فيفرحوا! يا ويل هذه القلوب التي تستمع برؤية العذاب حتى و هي في جنة الفردوس!!! انظر الى الامر كيف شئت و لن ترى الا أوهام و تناقضات. فهذا التأويل للاية غير سليم, و لست هنا في مقام تأويل هذه الاية المباركة. فنكتفي بهذا.

فاذن رغبة الله في معرفة نفسه لنفسه هي التي دفعته الى الخلق, و لا خلاص للخلق الا بالفناء الكلي لاحقا او العشق في هذه الحياة. "انا لله و انا اليه راجعون". "كل من عليها فان, و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام".

(لماذا تحرفت الاخرة؟)

"أليس الله بكاف عبده"

من سنت الله في الدين أن يتحرف الدين. فيوجد دائما من يسعى , و ينجح غالبا, لكي يتكسب الاموال الدنيوية بالدين, و يوجد الجهلة الذين لا يفقهون و لا يريدون أن يفقهوا لسان الدين, و يوجد الكسالى الذين لا يريدون أن يجاهدوا قلبا و قالبا في سبيل الوصول الى الدرجات الروحية و العلمية العالية في الدين, و أولا و اخرا يوجد فرعون الذي يريد أن يسيطر على الجماهير فيستغل الدين. و بسبب وجود هؤلاء, ووجودهم طبيعي في الغالب, فان الافكار التي أنزلها الله يجب أن تتحرف, عمدا في أكثر الأحيان. "يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه و هم يعلمون".

عندما أراد الله أن يلخص دينه فانه جمعه في ثلاث أفكار "من ءامن بالله و اليوم الاخر و عمل صالحا". و نستطيع أن نرى هذه الثلاثة مترابطة برابطة عضوية, بحيث ان أي انفكاك لواحدة عن أختها فانه يعني تحريفها هي أو اختها. فما هو الايمان بالله؟ و ما هو اليوم الاخر؟ و ما هو معيار العمل الصالح؟ هذه هي المسائل الكبرى في الدين.

في دراساتنا المستمرة لهذه المسائل, فاننا توصلنا الى أمور. و في مسألة الاخرة, فان الجواب هو أن الاخرة هي الحياة الباطنية في الأصل. و ذكرنا لماذا و كيف في مواضع أخرى فلا نكرر هنا اذ اني أعتبر هذه الدراسات متصلة ببعضها, و يبني اللاحق على السابق. و في هذا المقال أريد أن أبحث عن الأسباب التي جعلت الذين ائتمنهم الله على هذا الدين –اغلبهم و ليس كلهم– أن يحرفوا فكرة الاخرة من كونها شئ الأن و يمكن ان يتحقق الان, بشئ اخر لن يكون الا بعد الموت الجسماني كما هو مشهور. و الحق أنه دائما وجد و لا يزال يوجد من يلتزمون بكون الاخرة هي الحياة الباطنية و ليست شيئا بعد موت الجسم بالمعنى المشهور. و حتى الذين لم يلتزموا بهذه الرؤية تماما فانهم استوحوا من الاخرة أفكارا تناسب هذه الرؤية و تنبع منها قليلا أو كثيرا. و هو عندما يستعملون التأويل الباطني لرموز الاخرة ليدلوا على أمور واقعية في هذه الحياة. كأن يستعملوا رمز نهر الماء في الجنة على ذكر الله, و الخمر على عشق الله. أو كأن يستعملوا رمز الحساب على محاسبة النفس للنفس في هذه الحياة. و غير ذلك. بل يكاد يكون الأدب الصوفي العرفاني ينبني كله على هذه الحقيقية, أي كون الاخرة رموز باطنية على حقائق الدين و النفس و اسرار الله. و لا يخلو حزب من الاحزاب من تبني هذه الرؤية قليلا أو كثيرا, و لو عرضا و من حيث لا يشعرون. فالقرءان عامة, و الاخرة خاصة, تحوي رموزا عديدة و حقائق كثيرة, و أسرار عظيمة. و كلما التزم دارس القرءان برؤية القرءان كله و الاخرة خاصة على انها أمثال و رموز للحياة الباطنية و العلمية و الروحية, فان دراسته ستكون أكثر ثمرا, و أعمق علما, و أمتع نظرا. و اني أرى أن مقدار تقدير الانسان للقرءان يتناسب طردا مع مقدار علمه بأن القرءان أمثال و رموز على النفس و الروح و الجسم الانساني. أي باختصار, أنه متعلق بهذه الحياة بمختلف

مستوياتها. و كلما قل علم الانسان بهذا كلما كانت علاقته بالله و القرءان أضعف و أسخف و اسطح و أوهن. للخزائن مفاتح, و مفاتح غيب القرءان هي الرؤية الباطنية له و تفرعاتها.

بعد طول التأمل في أسباب تحريف الاخرة, ظهرت لي أربعة اسباب: كره القرءان, تزهيد المستضعفين في الحياة و تصبيرهم, خلق جيوش انتحارية, و التخويف من التعمق في الدين و تأسيس القبول الأعمى لأفكار السادة و الكبراء. فتعالوا نفصل و نبحث في هذا...

1 (كره القرءان)

اسمح لي بأن أضرب مثلا يكشف و ييسر علينا التفصيل: عندما يذهب أهل الدنيا من سلاطين و أثرياء من اهل الفجور و العربدة, و يقوموا باحتفال يحضرون فيه العاهرات و الراقصات, و يتعاطون فيه المخدرات و المسكرات بأنواعها, فهل سمعت يوما أحدهم يقول: يالله, هل ستعطيني أجرا على قيامي بهذه الاحتفالات و المتع الرائعة؟ هل يبحث الأمير عن أبيه ليقول له: يا أبت, اني احتفلت بالأمس و استمتعت كثيرا بالرقص و اللعب و السكر و الجنس, فأرجوك أعطيني أجرا و مكافئة على قيامي بذلك؟ هل يمتنع الثري عن الدخول في هذه الليلة الماجنة الممتعة و يقول للذي يدعوه الى هذه الحفلة: اني لن أتي الى بيتك و استمتع الا اذا كنت ستعطيني مالا غدا؟ بالطبع الاجابة على كل ما فات هي لا.

من ناحية أخرى, ان الابن الذي يكره المدرسة و يمقتها و يمقت من فيها و يمقت أساليب التعليم فيها و القيود التي تملأها, فانه لا يستقيظ في الصباح الا على صوت صراخ أمه في أذنه التي تجعله يذهب جبرا الى ذاك المكان المقزز. و العامل في المصنع المضطر الى العمل الشاق عشرة ساعات في اليوم أو أكثر لانه لولا هذا العمل فانه سيموت جوعا هو و زوجته و أبناءه السبعة, فانه لا يذهب و يصبر على العمل الا لانه يأمل في أن يعطى أجره في نهاية الشهر. و كذلك, الوزير الذي يعمل عند الطاغية الذي يهينه كل يوم, و يسبه و يلعنه و يعامله كما يعامل السيد كلبه أو أسوأ, فانه يصبر على هذا الطاغية و يتحمل العمل عنده لأنه يأمل في أن يعطى المال الكثير بعد هذا العمل المهين, و ايضا لانه يقول في نفسه: أصبر على اهانة هذا الطاغية الخبيث و اتحمل ذل من رجل واحد هو أمر مقبول لأني بمنصبي كوزير سأكون متكبرا و متجبرا على باقي الشعب, فلا بأس أن أتحمل ذل رجل واحد لساعات معدودة, و لكني في باقي الساعات , لاحقا و بعد أن أخرج من عنده, فاني سأملك التكبر و التعالي على بقية الناس.

و الان, ماذا نلاحظ من هذين المثلين؟ في المثل الأول الانسان لم يطلب أجرا على عمله, لان عمله ممتع في ذاته. و أما في المثل الثاني فان الانسان بسبب كرهه و مقته لعمله فانه يسلى نفسه بالأمل أنه سيكسب أجرا على عمله هذا لاحقا.

أي المثلين يصدق على القرءان و دين الله؟ الناس افترقوا كليا بسبب اختلاف اجابتهم على هذا التساؤل. أكثر الناس يرون ان دين الله يقع في المثال الثاني. و حتى لو لم يعترفوا بالمقدمة فهم يقرون بالنتيجة. أي انهم قد لا يعترفون أنهم يكرهون القرءان, و لكن كونهم لا يستمتعون به و يفرحون به, و يطربون له, و يرونه سعادتهم الكبرى,

و لكن بالعكس, فانهم يأملون بوجود حياة بعد الموت و التخلص من هذه الحياة, و في تلك الحياة الوهمية سينالون أجر التزامهم بالدين- أو ما يحسبون أنه التزام بالدين, الدين كما يرونه.

عجيب أمر الناس, الفاجر الدنيوي يستمتع بفجوره بحيث يرى أن فجوره و اجر فجوره لا يفترقان, فالعمل هو الأجر , و الأجر هو دوام وجود العمل. و أما أهل دين الله, أو الذين يدعون هذا على الأقل و ينتسبون اليه, لا يرون هذا, و لكنهم يحتاجوا الى أن يأملوا بوجود أجر لعملهم لاحقا. طالب الأجر كاره للعمل, بالطبع نقصد الأجر الخارجي المنفصل عن العمل. فمثلا, العمل الجنسي الجسماني هو عمل, يبذل فيه جهد, و لكن هذا العمل و هذا الجهد هو عين اللذة و الفرحة. هنا نرى ان الأجر على العمل قرين للعمل نفسه. فهذا في العرف نحن لا نسميه "أجر" لأنه متصل و متحد بالعمل. و لكن العمل الجنسي اذا كان لا يجلب اللذة و لكن انما يقوم به الانسان ليكسب أجره من شئ خارجي منفصل كأن يأخذ المال مقابل ممارسة الجنس, كما تفعل العاهرة مثلا, فعندها يخرج كون الجنس عمل ممتع بذاته ليكون عمل مكروه بدرجة أو بأخرى, و يكون المال المكتسب هو الأجر الفعلي.

ان الدين عندي هو القرءان و القرءان هو الدين فلا فرق بينهما اللهم الا من زاوية النظر. و الان, هل دراسة القرءان و سماعه لذة بحد ذاته و في ذاته, أم أننا سنطلب عليه أجر من خارجه و في حياة أخرى مثلا؟ الفرق هو في رؤيتنا للقرءان. ما هو القرءان؟ و ما هي العلاقة التي يراها الله بين الانسان و القرءان؟ و ما هي الغاية من دراسة القرءان؟ بحسب هذه الرؤية سيتبين موقف الانسان من الحاجة أصلا للاعتقاد بحياة أخرى نتقاضى فيها أجورنا على اتباعنا للقرءان.

فاذا كان القرءان هو كتاب رب أنزله الى عبيد لكي يتعلموا منه العقائد التي يجب أن يحشروها في رؤوسهم , و احكام فقيه يجب أن يلتزموها حرفيا, و أي انحراف هنا أو هناك فان العاقبة هي جهنم و بئس المصير بعد موت الجسم. و اذا كان المؤمن العامي يجب أن يقتصر على تلاوة القرءان فقط و لا يكون حظه فيه اكثر من الاتعاظ بالأمم السابقة و الخوف من جهنم و البكاء عند سماع هذه الايات, و الرغبة في الجنة و الدعاء عندما يمر على هذه الايات. و في باقي أمور الدين يجب عليه أن يقبل كل ما يقوله له رجال الدين من السادة و الكبراء و لو لم يفهم و لو لم يقتنع, و يجب عليه أن لا يجادل في شي حتى لا تكون عاقبته سوء و يكون من الذين يتبعون الهوى في دين الله,الى اخر هذه القائمة السوداء, فهل من العجب بعد ذلك ان نرى الناس ترغب في حياة أخرى يتقاضون فيها أجورهم على أتباع هذا الدين المقيت؟

و أما اذا كان القرءان هو مظهر روح الله و عقله (اذا صح التعبير) , و يكون معبرا عن الوجود و ما فيه بتفصيل تام, و تكون علاقة المؤمن بالقرءان هي علاقة حب و اتصال عن رغبة و اختيار, و أن يكون للدارس رأي في مواجهة رأي القرءان و يجادله و ينقده و يسمع منه و يأذن له بأن يصرح بكل ما يشاء, و تكون علاقة صحبة و أخلاء مع بعضهم البعض, و يكون القرءان رسالة من ملك الملك الى الانسان الملك "و جعلكم ملوكا" ليكون كل شي في الوجود و العوالم موضوع على مائدة أمام المؤمن الملك ليأكل منه حيث يشاء, بدل أن يسعى الى العلم هنا و هناك وسط ركام العقل البشري و أهوائه و مصالحه. و أن تكون الغاية الكبرى من القرءان هي أن يصل قلب الانسان و عقله الى أعلى درجة في العلم و الروح و هي درجة الملك الأعلى جل و علا, اذ الكتاب مراة الكاتب, و من يحيط بالكتاب فقط بلغ درجة عقل الكاتب. فهل مثل هذا سيلتفت أصلا الى وجود أي شئ بعد موت الجسم, فضلا على أن يجعل وجود هذه الحياة هو سبب رئيسي لكي يقبل بالدين و يتبعه؟

من أجمل و أعمق الكلمات التي تنسب الى مقام النبوة في كتب الأحاديث عند الأحزاب هي هذه " من اتاه الله القرءان ثم رأى أن غيره من اهل الدنيا قد اوتي خير منه, فقد صغر عظيما (القرءان) و عظم صغيرا (الدنيا). و لا ينبغي لمن أتاه الله القرءان أن يرى أن من أوتي الدنيا بأسرها خير منه, اذ انه لو أوتي الدنيا كلها فان القرءان خير من ذلك" نقلته من حفظي بمعناه. هذا الكلام لا يمكن أن يصدر الا من مقام النبوة فعلا. و ياليت الذين هجروا القرءان لصالح هذه الأحاديث يفقهون عمق هذا الحديث الرباني.

ان المتدين الذي يجعل الاخرة شئ بعد الموت ليحصل فيه على أجر التزامه بالدين, انما هو حاسد لأهل الدنيا. هو يحسدهم لأنه يراهم يستمتعون و يفرحون و يتحركون بحرية (او هكذا يحسب!) و يرى نفسه مسجونا مقيدا محاصرا مهددا في كل حركة و سكنة, اذ أنه قد تصدر منه كلمة لا يلقي لها بالا فتهوي به في النار سبعين خريفا (و العياذ بالله من هذا الاله و هذا الكلام!) فمن الطبيعي أن يحسد أهل الدنيا على دنياهم. و ردة الفعل المتوقعة هي أن يخلق لنفسه حياة لاحقة , امل يلهيه "و يلههم الامل", و يسليه, و تكون هذه الحياة له فقط محتكرة و لحزبه, و سيكون أهل الدنيا هم المعذبين الملاعين و هو سيشفى غليله بالنظر اليهم و هم يتعذبون الى أبد الابدين, وهو سيكون مع الحور العين يضاجع ليل نهار و يعاقر الخمر بلا حسيب أو رقيب بالمعنى الجسماني. عامة الأحزاب حرموا من جنة الله التي هي القرءان بسبب عقائدهم عن القرءان و الحياة التي لقنهم اياها أربابهم, و حرموا من الدنيا لأن سادتهم و كبراءهم يرغبون فيهم عمالا و عبيدا و جنودا لا غير الا بقدر الضرورة. فلا هم أحياء في الله, و لا هم أموات من الدنيا. لا يهم يدخلون الجنة, و لا هم يزهدون في جهنم الدنيا, فكيف السبيل الى التوفيق بين هذين الأمرين؟ الجواب بسيط: سندخل الجنة بعد الموت, و هم سيدخلون النار. و اقول أن هؤلاء هم عوام الأحزاب و جماهيرهم, لأن سادة الأحزاب و كبراءهم مثلهم مثل بقية أهل الدنيا الذين يتسابقون على التسلط و التكاثر في

الأمول و الأولد, و اللهو و اللعب و التفاخر بالأمور الظاهرية غالبا. لطالما كان كبراء الدين من المتسلطين بشكل أو باخر. و وسيلتهم الى الدنيا هي الدين. فهم ليسوا فقط من أهل الدنيا, بل هم ألعن منهم, اذ أولئك طلبوا الدنيا بالدنيا, و أما هؤلاء فيطلبون الدنيا بالاخرة. و أكثرهم خسر الأمرين. اذ لا هو من أهل الاخرة بسبب تحريفه و تلاعبه, و لا هو يستطيع أن يكون من أهل الدنيا علنا دائما اذ ان نفاقه و مراءاته ستتحطم امام العوام الذين يستخففهم بمنظره و كلامه المملوء بقال الله و قال الرسول.

فخلاصة الأمر هي هذه: الذي يرى القرءان جنة لن يطلب جنة, و الذي يرى الدين قيود و أغلال يجب أن يخلق لنفسه لاحقا جنة. "و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم, ان أتبع الا ما يوحى الي" فالقرءان لا يبالي بغير هذه الحياة بكل أبعادها, و اما الأحلام فنتركها لأهلها.

2(تزهيد العوام و تصبيرهم)

لكل انسان قدرة معينة على التحمل و الصبر, و أكثر الناس عندها مستوى منخفض نسبيا من القدرة على الصبر, و لذلك يقول "و ما يلقاها الا الذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم" . فاذا كنا سنستغل الجماهير و نسحقهم و نتعبهم و نذلهم, فان النتيجة الحتمية هي انفجار ثوري عاجلا أم اجلا, أليس كذلك؟ فهذه الطاقة النفسية المختزنة و طاقة الغضب و التبرم و الكره المكبوتة, لا بد أن تجد لها متنفسا, و الا فانها ستنفجر فوق رؤوسنا و تدمر عروشنا. فما الحل؟ الحل هو أن نخلق نافذة أو نوافذ لتنفيس هذه الطاقة و هذا الغضب.

من زاوية ثانية, فان الناس ترغب في حياة جسمانية مريحة, اذ هذا هو أصل الرغبات الجسمانية في الحالة السوية. فاذا كنا نحن كحكام سنستغل الناس و نتعبهم و نأكل ثمرات ما عملته أيديهم, فان الراحة ستزول و سيحل محلها الشقاء بدرجة أو بأخرى. و حيث ان هذا سيؤدي الى اشعال ثورات في الناس, فاننا يجب أن نخلق لهم أملا في حياة أخرى مريحة تتحقق لهم فيها كل رغباتهم بلا أي حدود.

و من هنا جاء تحويل الاخرة الى حياة بعد الموت, و اخذت الرموز القرءانية على أنها أمور جسمانية في أصلها. و من هنا فان البعض من زبانية الدين اعتبر انكار المعاد الجسماني سبب للردة و قتل صاحبها. فحتى لو اثبت المعاد الروحاني و انكرت الجسماني فانت مرتد يجب قتلك! و احسب ان سر هذه الفتوى الابليسية ظاهر. و لا ينقضي العجب من الاشكلات التي تغاضى عنها هؤلاء بسبب فكرتهم هذه.

و نستطيع ان نرى كيفية تحول الاخرة الى أمر ما بعد موت الجسم الى وسيلة جبارة للتنفيس عن غضب و بؤس الجماهير الناشئ بسبب طغيان بشري عليهم في الغالب, و الذي بامكانهم تغييره اذا اتحدوا الى حد ما و عملوا بروح واحدة. و لذلك أصبحنا نرى عامة الناس ترفض الأعمال التغييرية و الثورية بسبب زهدهم في هذه الحياة كلها و تشوفهم و أملهم في حياة أخرى. و اني لا اعارض أمل الناس هذا, الا اني لن أسمح لنفسي بالاحساس بالشفقة و الرحمة طرفة عين اذا رأيت الجماهير تأكل العفن و تتجرع السم المر و يغلفها الغم و الحزن من كل مكان. طالما انكم زهدتم في هذه الحياة, و سلمتم لأمر الطغيان بأنواعه فاذن تحملوا عاقبة قراراتكم. الا أني أفترض أن الناس فعلا ترغب في التغيير و الترقي, و حتى لو لم يكن لهذا الافتراض مسوغ عقلاني, فانا بين امرين: اما أن يكون الناس فعلا يرغبون في التغيير و الترقي فاذن يكون حدسي قد صدق, و اما أن حدسي يكون مخطئا فعملي يكون تحت بند "معذرة الى ربهم و لعلهم يتقون".

و كون الحياة بعد الموت وسيلة قوية لتنفيس غضب الناس و نشر الأمل فوق رؤوسهم بغير حساب, هو أمر ليس مختصا بديننا و أحزابنا, انما هو أمر مشهور على مستوى أغلب الأديان ان لم يكن كلها. حتى ان وجود حياة ما بعد الموت, و اليقين بهذا الوجود, هو من أركان أي دين يستحق هذا الاسم بين الناس أو يكاد يكون. و بالطبع فان أهل كل ديانة يجعلون اليوم الاخر هو يوم نصرهم هم, يوم ينتصر لهم ربهم أو أربابهم, و يوم ينسحق أهل الديانات الأخرى. و لا شك أن " كل حزب بما لديهم فرحون". فاذا سألتهم عن برهانهم فأقصا ما ستراه هو سراب يحسبه الظمان المضطهد المحروم ماء.

و اذا أستيقظنا و رأينا حقيقة الاخرة في هذه الحياة-بكل أبعادها و درجاتها-و التي لا نعرف غيرها, و قتلنا هذا الاعتقاد السلطاني الطغياني للاخرة, فان قوة الناس ستتركز في هذه الحياة, و اذا اجتمعت كل هذه القوى فان كل شئ ممكن, و سيترقى الناس الى درجات لم تكن ممكنة حتى في الخيال. الاعتقاد بحياة ما بعد الموت هو اسراف و تبذير للطاقة. اذا كان يوجد فعلا حياة ما بعد الموت كما يتصور عامة اهل الأديان فانه يجب علينا ان نرفضه اي نتغاضى عنه الى حد كبير, فما ظنك أنه يجب علينا ان نفعل و هو أمر لا دليل فعلي عليه, بل الأدلة المعتبرة تتعارض معه؟! اذا عشنا حياتنا بعلم و روح, و عملنا بمقتضى الخير و القرءان (بقدر استطاعتنا), فانه ان وجدت حياة أخرى فاننا سنكون من أهل الدرجات العلى, اذ ان الله لا يعذب قلبا وعى القرءان و عمل الصالحات, و ان لم توجد هذه الحياة فاننا نكون عشنا أحسن حياة ممكنة.

و الذي يرى أن عدم الاعتقاد بالاخرة الملحمية سيجعله يرتكب الفجور و الجرائم, فليعلم أنه لا يؤمن بالله و لا بالدين, و لعله من الأحسن أن يذهب و يرتكب الفجور و يخرجه من نظامه النفسي و يدرك حقيقته. ان المجتمعات القانونية تعاقب على الجرائم بغض النظر عن معتقدات الشخص. و ان الذي لا يحرره علمه بالله و نفسه من شهوات الجسم السيئة (و ليس الطيبة) فان اعتقاده بحياة أخرى لن يردعه, و ان ردعه فهو ليس من عباد الله و لكن من عباد جهنم "هي مولاهم".

ان طبيب الاسنان اذا قال لك أن تفرش أسنانك فانه لا يحتاج أن يخوفك بعذاب ما بعد موت الجسم ان لم تفعل, و لكنه قد يرغبك عن طريق تبين محاسن هذا العمل, و قد يخوفك عن طريق تبيين الأضرار الجسمانية و الاجتماعية لترك ملازمة تفريش الاسنان. فان كان عمل مثل هذا يكفي فيه أن يفصله لك في سياق هذه الحياة, و هو أمر بهذه البساطة, و يكون هذا التفصيل الواقعي يكفي الانسان الراقي المحترم لكي يلتزم بهذا الأمر. فارشادات الله أشد عقلانية و واقعية و روحانية من ارشاد طبيب الأسنان!

قد يقال: و لكن ماذا عن الطغاة الذين لن يرتدعوا اذا لم يعتقدوا بحساب بعد الموت؟ أقول: و منذ متى كان الاعتقاد بهذه الحياة رادعا للطغاة؟! ان هؤلاء يقومون بما يشاؤون بلا أي اعتبار لهذه الخرافات, بل لعله يرى أنه يقوم بعمل الله و أنه ظله في الأرض, بل لعله يدعو الله أن يوفقه في أعماله الطغيانية, هذا ان كان يؤمن به أصلا. ثم ان الفقهاء و وسائل الاعلام المحكومة-أدام الله ظلها البائس- لن يتوانى عن اكتشاف المخارج الفقهية الدينية لتبرير أي عمل من أعمال الحكومة أو التاجر السارق و غيرهم من الطغاة. ان ثورة الناس , أو الخشية من ثورة الناس هي الرادع الوحيد لطغيان الحكومات. و ما عدا ذلك لا يسمن و لا يغني من جوع.

و قد يقال: فماذا عن الناس الذين ولدوا و فيهم عاهات أو الصعوبات الحياتية قد أحاطت بهم لسبب أو لاخر, بل قد يكونوا من المصلحين الذين يتعرضون للسجن و التعذيب, فماذا عن زرع الأمل في هؤلاء في أنهم سيفوزون بحقهم في حياة أخرى أفضل من هذه الحياة التي حرمتهم من المتعة و الفرحة؟ أقول: ان العقائد لا تؤخذ بهذا الميزان يا عزيزي. العقائد حقائق, أو هكذا يفترض أن تكون. و اذا كان ميزان العقائد هو تسلية الناس و زرع الأمل فيهم, فان عندي الكثير من العقائد أحسن بكثير من هذه الموجودة الان. ثم ان كل واحد ممن ذكرت من المحرومين أو المعذبين مخير في حياته. فمثلا, ذو العاهة مخير بأن يحيا هكذا (ان لم يجد علاجا) أو أن ينتحر و يتخلص من هذه الحياة بالكلية. و ذو الصعوبة المعيشية مخير بأن يعمل أكثر أو يثور أو يهاجر أو يتعلم أو اذا لم ينفع كل هذا فله أيضا أن ينتحر مثل صاحبه. ان الحياة يجب ان تكون اختيارية, و الانتحار ليس عمل سئ كما تصور الناس بسبب ايحاء السادة و الكبراء الذين يرغبون في ابقاء الناس عمال لهم برغم ما فرضوا عليهم من شقاء مستديم. و المصلح الذي يسجن أو يعذب يجب أولا أن لا نحرمه من شرف جهاده, فاي قيمة لجهاده اذا كنا سننسب صبره الى اعتقاده أنه سيذهب الى الجنة بعد أن يموت و أنه سيرى اعداءه في فرن أبدي؟ ان عظمة المصلح أنه يتحمل العذاب من أجل الناس و نفسه. هذا هو الحب الفعلي. و اما اذا كان ينتظر مقابلا فمثله مثل التاجر لا وزن فعلي له. و انه هو الذي اختار هذه الحياة لنفسه, فقد كان بامكانه أن يجلس في بيته و يخنع و يقول "امين" كلما قال المجتمع أو السادة شيئا. فلنحترم على الأقل رغبته. ثم ان كنا نرغب فعلا أن ننقذ هذا المصلح المعذب فعلينا أن لا نخترع له عقائد ليعتنقها و يؤمل نفسه بها, بل علينا أن نقوم و نقف بجانبه و نثور معه, و نحتج على ما يتعرض له. هذا هو النصر الحقيقي. اختراع الخرافات المسلية سهل يمكن لكل انسان أن يقوم به. و أخيرا, اذا أراد أحد ان يخترع لنفسه أمال يسلي نفسه بها فليفعل و لكن بينه و بين نفسه, أو على الأقل لا يسقط حكم الكفر و الردة على كل من لا يوافقه على أحلامه و اماله, اذ ان ما يراه هو مسليا يراه غيره قبيحا ممسوخا, و اني لا أخفيكم أني أقوم أحيانا بابتكار أحلام تسليني عن مصيري ما بعد الموت, و لكني لا أذكرها لأحد اللهم الا على سبيل الضحك و التندر و أخذ العبرة, فضلا عن أن أسعى لالزام الناس بها او الاسخف و هو محاولة اقناعهم بها- لا سمح الله. و

اني اسعى الى أن اتحرر من هذه الاختراعات قدر الامكان. و خير ما يقال في هذه المسألة: اذا أردت أن تبتدع امالا معينة فابقها لنفسك.

فاذن, خلاصة الأمر أن الاخرة بعد الموت هي من وسائل السلطة للتنفيس عن غضب الناس و زرع الأمل فيهم بعد أن امتصوا دماء الحياة و المتعة منهم في هذه الحياة. فلا تطيعوا مصاص الدماء, فانه كائن خرافي و قبيح!

3(خلق جيوش انتحارية)

كيف أجعلك ترضى بأن تموت في سبيل توسيع مملكتي ؟ بأن أجعلك تعتقد أنك لن تموت! نعم أنت لن تموت اذا ذهبت و غزوت ديار الناس في سبيل "الله" (قناع الخليفة و السلطان), بل انك ستذهب فورا الى حياة عظيمة فيها

ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين, و سيجعلك الله ملك عظيم لأنك من الشهداء. وعود جميلة أليس كذلك؟ فماذا لو قتلت في سبيل توسيع أراضي رجال الحكومة , ثم قتلت في أحد المعارك ثم لم تجد هذه الجنة التي وعدوك بها, ماذا ستفعل حينها ؟ حينها يكون قد فات الأوان, فهم يبيعون صكوك في الجنة بدون أن يكون لك خيار الرؤية الذي تملكه لو أردت شراء قطعة دجاج!

يسخر الأحزاب عادة من أن التيار الكاثوليكي في الديانة الصليبية كان يوزع صكوك غفران و يبيع أراضي في الجنة لاتباعه مقابل دفع الأتباع للمال و ما شابه. و يغفلون انهم هم أنفسهم يقومون بمثل هذا العمل, و أسوأ, ليل نهار. ان الاحالة على ما بعد الموت هو احالة على مجهول, و هذا بديهي, و أيضا يقول القرءان "و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم" , كيف يقول ما أدري و هو يتلقى وحي الله و القرءان قد ذكر الاف الايات عن الاخرة بتفصيل ما بعده تفصيل؟ هذا لأن ايات الاخرة لا تتحدث عن ما بعد موت الجسم, بل هي تتحدث عن أمور روحية وواقعية بلسان خاص, يحجب عنه أنواع معينة من البشر "و اذا قرأت القرءان جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا" و القرءان أمثال و رموز "و لقد صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل", و لولا التأويل الباطني لما فهمت هذه الأمثال. و من هنا تتبين العلاقة الحقيقية بين "قرأت القرءان" و "لا يؤمنون بالاخرة حجابا" اذ الذي لا يؤمن بوجود الشئ لن يبحث عنه! و الذي لا يؤمن بوجود الباطن في القرءان فانه لن يبحث عنه و لن يفهم عن ماذا يتكلم القرءان. و أما على تفسير الأحزاب للاخرة, فما علاقة الانحجاب عن فهم القرءان بالتصديق أو عدم التصديق بوجود حياة ما بعد الموت؟ هذا على فرض امكانية التصديق الفعلية العميقة بمثل هذا الأمر, و التي يمكن أن ينازع فيها. فعلى أية حال, كل من يحيل على ما بعد الموت انما يحيل الى مجهول معدوم. و لا يجوز أن تبيع ما ليس عندك, أليس كذلك أيها الفقهاء الامناء؟

ما أسهل و أجمل أن تبيع حياتك و مالك بدون مقابل! أحسب ان أمكر تاجر يهودي لم يكن ليستطيع أن تبلغ به الشطحات ليتخيل أنه بامكانه أن يقوم بهذه الصفقة. ان الرجل اذا أراد أن يشتري خبزا من السوق فانه ينظر فيه و يفحصه, و المرأة اذا أرادت أن تشتري اسورة ذهبية فانها تفحصها و تساوم عليها و تدقق فيها, و لكن الرجل و المرأة من الاحزاب اذا أرادا أن يبيعا حياتهما و لكن لن يستوفوا ما اشتروه الا بعد الموت الجسماني, فانا نراهم من أشد الناس تساهلا و قبولا في كثير من الأحيان. ان نفوس هؤلاء أرخص في نظرهم من قطعة خبز! و لعل هذا من مصاديق "و من يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه". و من امثال هذه الملاحظات و التناقضات يظهر أن الناس اما أنها لا تؤمن فعلا بما يزعمون أنهم يؤمنوا به, و اما أن فيهم نزعة انتحارية لسبب ما, و اما انهم يخشون مخالفة المحيط. و اما الاعتقاد اليقيني بمثل هذا فانه اما نادر و اما مستحيل أصلا.

في القرون المنصرمة كان الاحزاب هم سادة العالم في أكثر الأحيان بحروبهم و غزواتهم و توسعاتهم الأرضية. و هذا كان يحتاج الى جيوش جرارة لا تهاب شيئا و تلقي بأنفسها الى التهلكة بدون حساب. و من هنا كان الاعتقاد بحياة ما بعد الموت من أهم الوسائل التي يحتاجها أرباب الحرب ليخلقوا مثل هذه الجيوش. و قد فعلوا و قد نجحوا. و أما اليوم فانما يقتات الناس على ما ورثوه من اولئك. و لا تزال الحاجة الى مثل هذه العقيدة و لكن من زوايا أخرى. فلذلك يظهر أنها ستبقى بيننا الى أجل غير معلوم أو معلوم.

و من زاوية اخرى, فان الايمان بالاخرة الباطنية سيخلق في الانسان عمق روحاني و انجذاب للسلام الظاهري. ففي الاخرة يوجد حالة نفسية تسمى "دار السلم" و هذا السلم غير مرغوب بالنسبة لمن يريد أن يصنع وحوشا بشرية. الاخرة علم و أقصا قتال فيها هو بالكلام بالتي هي أحسن. فلا يوجد قتال بالأجسام كأصل و انما هو بالكلام. فأهل الاخرة لا يسفكون الدماء كما أنهم لا يفسدون في الارض. فاذا أردنا جيوشا متوحشة و غازية فان هذا أمر مرفوض و يجب ازالته. ان الذي يرى الله في دراسة القرءان الباطني لن يسعى الى الشعور بالكبرياء عن طريق قتل الاخرين و نهب أراضيهم. الحياة الروحانية العلمية العميقة لا تكون الا ضد الحياة الحربية الطغيانية الظاهرية. "و لكن اكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا و هم عن الاخرة هم غفلون" "ذلك مبلغهم من العلم".

4) التخويف لقبول المجهول و المرفوض)

عندما جاء موسى بكل ءاياته و علمه و جاذبيته و روحانيته فانه لم يؤمن به الا "ذرية من قومه" لماذا؟ يقول "على خوف من فرعون". ان القلب يرفض أو يرغب في أن يرفض كل ما من شأنه أن يهدد سلامة النفس, بحسب قيم الشخص. فاذا أردنا أن نخلق رعبا في الناس يمنعهم من التشكيك أو حتى افتراض وجود أفكار حقيقية او أفكار

أقوى من أفكارنا يجب علينا أن نوجد وسيلة لخلق هذا الرعب. و هل يوجد أحسن من التهديد بجهنم و بئس المصير خالدا مخلدا فيها أبد الابدين!

ان هؤلاء السادة و الكبراء يشبهون ذي القرنين و لكن بالمقلوب. ذو القرنين صنع سدا ليمنع الذين لا يفقهون من الوصول الى الذين يفقهون, و أما هؤلاء الاحزاب فصنعوا سدا بين الذين يفقهون من الوصول الى الذين لا يفقهون. كيف تدعو جماعة الى علم و بعلم و هم يخافون من الاستماع اليك أصلا؟! و لماذا يخافون, أليسوا على الطريقة المثلى , أليسوا على شرع الله الأزهر و نور الله الأظهر؟ لا, انهم قد خيل لهم أنهم على هذا. و لكن الواقع أنهم يخافون فعلا, و من أهم أسباب هذا الخوف التي نراها و نسمعها كثيرا -و للأسف- هو خوفهم من تغيير أي فكرة من عقائدهم الربانية حتى لا يدخلهم الله الى جهنم. و لذلك ترى عامة الناس يفرقون و يرتعدون عند سماع أي عارض لفكرة غير ما يعتقدونه أو اجبروا على اعتقاده, و يمتلؤون رعبا و يتصببون عرقا خاصة عندما يفهموا و يقتنعوا و تتقبل قلوبهم هذه الافكار الكافرة!!

نشاهد أحيانا قومنا يقولون: ألا تخاف ان تكون أفكارك هذه باطلة فتلقى في جهنم الى الأبد؟ اذا كانت أفكارنا القديمة صحيحة فيجب أن نلتزم بها, و لا شك أنها ليست خاطئة, فهل من المعقول أنك أنت تفهم و أنت قد اكتشفت هذه الحقائق و كل من سبقك من العلماء و المشايخ و الاولياء, و كل من يحيا الان من العلماء و المشايخ و الأولياء قد غفل عن هذا و أنت و امثالك من الفتيان الطائشين ذوي السوابق السيئة الغافلة قد عرفوها؟ هل ترك الله كل هؤلاء المخلصين للدين و الذين يكرسون كل حياتهم لخدمة الله و دينه , ثم اختارك انت ليكشف بك حقائق الدين و قواعده الأساسية؟ ان احتمال صدق عقائدنا القديمة أكبر بكثير من احتمال صدقك أنت. أقول: من أين نبدأ بالاجابة عن هذا الطوفان ؟

أولا, ان الله لا يلقي في جهنم أي شخص يتبع العلم, و حتى الذين يشركون بالله فان الله لم يؤاخذهم على شركهم بذاته, و لكن يقول كما في نهاية سورة المؤمنؤن "و من يدع مع الله الها اخر لا برهن له به". فان عرضت عليكم فكرة تخالف البراهين المعتبرة في البحث الفكري الراقي و العلمي, فانا أول السامعين و القابلين. في عالم الفكر و الروح لا يوجد خوف و حزن. و دائما يوجد ظن الى حد ما. و لكن هذا لا يعني التسليم الأعمى بأي شئ. و أستطيع ان اعكس هذه الحجة عليكم بأن اقول: ألا تخافون أن تكون أفكاركم باطلة فيلقيكم الله في جهنم الى الأبد؟ هذا ليس كلام علم, و لا عبرة به.

ثانيا, هل من المعقول أن نكون نحن على حق و كل هؤلاء العلماء على باطل؟ معيار الحق ليس الكثرة. فان اكثر الناس من الانعم بل أضل سبيلا كما يقول الله. معيار الفكرة هو ذاتها و واقعيتها و قبول القلب المتحرر من الخوف من فرعون و جهنم و باقي القائمة السوداء لها. و العجيب أنكم تأخذون بالمعقول و غير المعقول هنا, جيد, فلا تحتجوا علينا بأن العقل مرفوض في مواضع اخرى بعد اليوم. ثم ان الكثير جدا من العلماء و العباقرة في العالم على مر العصور كانوا ملاحدة و كفار و فاسقين و ملاعين (في موازينكم على الاقل), فهل من المعقول أن يرفض كل هؤلاء الدين و يكونوا كلهم على باطل؟ هل من المعقول أن كل علماء الفرق الاسلامية الأخرى و التي تتقاطع مع اسلامكم تقاطعا تاما, أنهم كلهم على باطل و أنتم و علماءكم على صواب؟ ثم انه يكاد لا يوجد فكرة من التي نقول بها الا و يوجد من علماء الأمة من يقول بها, كونهم قليل أو كثير هو مسألة هامشية, هذا على فرض أننا نستطيع أن نعرف رأيهم الحقيقي, خاصة و أن التهديدات النفسية و الاجتماعية و السياسية و المالية تحيط بهم أو بأكثرهم. فهل تتوقع من رجل يأخذ الملايين و المليارات من اتباعه بحجة الخمس الشيعي أن يعارض اتباعه و يخرج عن ملته؟ هل تتوقع من شيخ و مفتي الديار أن يعارض الناس و يخرج عن عقيدة اقتنع تماما أنها باطلة, و يسبب فتنة للناس في الدين بصورة عامة؟ لا شك أنه سيجد لنفسه مبرر فقهي أو أدبي ليبرر لنفسه كتم هذه العقيدة, و ما أيسر اختلاق هذه المبررات!

ثالثا, أما عن كوني فتى فابرهيم كان فتى. و أما عن كون لي سابقة سوء, فان الجهل أكبر المساوئ, و الذي لا يكون مع الله فهل نتوقع أن يكون في شئ غير الظلمات؟! و الشكر في بعدنا عن الله الحق في السابق هو للمجتمع! ابرهيم كان مشركا, موسى قتل و فر, محمد كان ضالا فهداه الله, كل مؤمن يجب أن يكون في الظلمات ثم الى النور كما يقول "الله ولى الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمت الى النور" و لا زلنا نسعى للخروج من الظلمت التي تحيط بنا, و لا زالت ذنوبنا كثيرة و لكن على الله قصد السبيل. ما علاقة حياتي الشخصية بالفكرة التي أعرضها عليك؟ انكم تقبلون أفكار و أعمال من رجال و نساء ملحدين و كفار و منافقين ليل نهار. و هل اخترع اكثر الصناعات الحديثة مسلمين على مذهبكم؟ 5+5= 10 سواء خرجت من جبريل أو ابليس. أاذا قال ابليس ان 5+5=10 أيصبح كلامه خاطئا يجب الاعراض عنه! افترضوا اني ابليس, و حاكموا ما أعرضه بحد ذاته.

رابعا, أما عن ترك الله لدينه الى الان. فان القرءان لطالما كان موجودا و مقروءا و مدروسا, و لم يخل زمن من رجال يبينوه و يكشفوا حقائقه. و ما انا الا دارس من هؤلاء, بل لعلي اصغرهم. نعم, ان كان الله وفق الانسان لأمر فهل تملكون أنتم خزائن رحمة الله لتقرروا من يجب أن يعطى و من يجب أن يمنع؟ أليس قولكم هذا شبيه بقول "لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم"؟ اذا تخلى هؤلاء العلماء الذين تذكرهم عن عقائدهم و أخذها كمسلمات يجب اثبات صحتها مهما كلف الأمر, اذا فعلوا ذلك سترى أن أصغرهم سيرى أغلب ما نقول. فمثلا,

عندما نبني دراستنا للقرءان على أساس ان القرءان كامل و مفصل تفصيلا بنفسه, فهل هذا من الأمور الخرافية التي لا برهان عليها و يجب أن نعتمد على "هل من المعقول" و ما شابه من الحجج الطفولية لاثباته؟ اذهب و افتح كتب هؤلاء العلماء أنفسهم, و افتح كتب المرويات ان شئت و سترى أن العلماء لا يذكرون أي شئ عن كون القرءان مفصل تفصيلا كله, و انه كامل بذاته, و سترى أنهم يذكرون فورا أن في القرءان اجمال أو أنه مجمل, و أنه بحاجة الى ما يسمونه بالسنة النبوية لتفصله و تخصصه و ما اشبه. فما ذنبي ان كان منهج الكثير منهم في البحث في الدين منتكس على رأسه؟ ما ذنبي أنهم لا يريدون أن يخرجوا على أي شئ يعتقدونه او يعتقده اتباعهم مهما ظهر لهم انه ضعيف او باطل الى درجة عظيمة؟ و مثلا, عندما نبين ان اتخاذ أي قبلة جسمانية هو اتخاذ لصنم, اذ ان الله أمرنا (قرءانيا و عرفانيا) أن نتوجه فقط بالارادة القلبية الى وجهه الكريم "يريدون وجهه" و هو قبلتنا الوحيدة, فهل هذا من الأمور المبتدعة الصعبة على القبول؟ هل اذا بنى أهل الأديان الأخرى حجارة أو رسومات و تماثيل, يتوجهون اليها في صلاتهم و دعاءهم لربهم يكون هذا عبادة للأوثان, و اما نحن اذا توجهنا لحجر فان هذا عبادة خالصة لله و الحجر مجرد قبلة لا عبرة حقيقية لها ؟ الكيل بمكيالين هو من أكبر حجب هؤلاء العلماء, و أيضا المنهج المنتكس على رأسه, و دخول القرءان بمسلمات مسبقة لا تقبل النقاش. ان الله لم يترك دينه, و ان الله قد بين الأمور, فماذا يفعل بعد ذلك؟

نلاحظ أن هذا الطوفان من الاحتجاجات يشبه طوفان نوح, الا أن طوفان نوح من ماء و هذا من هواء! لو طبقنا نفس هذه المعايير عليكم و على علماءكم لرفضناهم كلهم. و مع ذلك نحن لا نقوم بذلك. و لا زلنا نسترشد بما ينتجونه من فكر راقي هنا و هناك. سياسة الاقصاء غير معتبرة عندنا. سياستنا قائمة على اساس "فأينما تولوا فثم وجه الله".

ان الفرق بين المفكر و التابع الأعمى هو ان المفكر اذا رأى مخالف له أو من يملك رأي مختلف و غريب فانه يسعى اليه و يستمع اليه, لكونه يريد أن يحيط بالحقيقة من كل الجهات, أو لهذا يسعى. وأما الغنم فانهم اذا رأوا أو شعروا بوجود رأي مخالف فانهم يخافون و يهربون, او يغضبون و ينفعلون "يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم ءايتنا" و تكاد تعرف في وجوههم المنكر و الوحشية و الخوف و القلق. المفكر بخيل, يريد ان يأخذ كل الأفكار, و التابع وعاء مخروق لا تستطيع ان تملأه بشئ و انما يريده اسياده لظاهره.

بعقيدة جهنم هذه أصبح معيار أهل الأديان عامة و المسلمين خاصة في قبول الأفكار و التوسع الروحاني ليس حقيقة او واقعية أو عمق أو متعة, و لكن هو هل سندخل الى النار أم لا. كأن معيار قبول الطعام قد تحول من الصحة و اللذة و الجمال الى :هل سيغضب أبي و أمي ان أكلت هذا ؟!! و معلوم أن أكل الطعام المكروه يفسد المزاج و يكاد

يقتل الجسم ان كان مسموما! لا تجعل معيار قبولك للطعام هو معدة جارك او معدة سيدك و مجتمعك. ان الاله الذي يهدد المفكر بالنار أيا كانت نتجية فكره الحقيقية هو اله لا يستحق الا الرجم. و ان اله لا يبارك التطور الحر للروح فانه لا يمكن أن يقال انه خالق العالم و الناس. ان هذا جاهل لا يفهم حقيقة الوجود. الذي يؤمن بجهنم هذه هو في جهنم الان! تريدون دليلا على وجود جهنم؟ انظروا في حياة عامة الذين يؤمنون بوجودها لعلكم تعلمون. وقود النار هو جهل الناس. و الله هو جنة العلم و نار العشق. فهل من مدكر؟

(ما الحكمة من هذا الخلق؟)

يقول الله "الذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا و هو العزيز الغفور"

فيظهر ان خلاصة سر الخلق, هذا التساؤل الذي ما فتئ الناس يتساءلون عنه, و اجابه القرءان هي "ليبلوكم ايكم احسن عملا". و لنا على ذلك تساؤلان: الاول: هل من سبيل موضوعي للبرهنة على ان الغاية من الخلق هي هذا الابتلاء الذي ذكره القرءان؟ و الثاني: ما مقدار الرحمة في هذا الابتلاء؟ فتعالوا ننظر...

(هل من سبيل موضوعي للبرهنة؟)

البراهين انواع, تختلف بحسب الموضوع المطلوب البرهنة عليه. فالبرهنة على صحة جواب في مسألة رياضيات غير البرهنة على ان الزوج لم يخن زوجته ليلة امس مثلا, و هكذا. النظر في عالم الافاق و الانفس , اي عالم الظاهر, لا يعطينا اجابات شخصية على سبيل القطع اليقيني, و لكن يعطينا اجابات عن سنن الخلق. فمثلا, اذا دخلت بيت جارك ووجدت باب احدى الغرف مطليا باللون الاحمر, فان نظرك و تأملك في هذا الباب قد يجعلك تستنبط امور كثيرة, و لكنه لن يجعلك تعرف السر او الغاية التي من اجلها صبغ جارك هذا الباب بهذا اللون المعين. فالسر مسألة شخصية لا تعرف- كأصل- الا من صاحب السر نفسه. و اما الاستنباط الميكانيكي و ما شابه من الامور المادية المنفصلة عن شخصية الفاعل فهذه يمكن استنباطها. فالفاعل يفعل الشئ لغاية, حتى لو كانت هذه الغاية هي الفوضى و عدم وجود غاية! و لكننا لا نستطيع ان نستنبط هذه الغاية الا باستعلام من الفاعل نفسه, او بالتكهن بنواياه الخفية.

فلو قسنا عالم الخلق الذي فاعله هو الله على مثلنا السابق هذا فعندها سنعلم ان معرفة الغاية التي من اجلها خلق الله الخلق لها طريقان لا ثالث لهما: اما اخبار الله عن ذلك بنفسه, و اما بالتكهن. فاذا سمينا اخبار الله "الرسالة", فاذن نستطيع ان نضع قاعدة تقول: سر خلق الله يعرف بالرسالة او بالكهانة.

اما الكهانة فظاهر انها لا تجلب يقين, و اما الرسالة فقد لا تجلب يقين هي الاخرى. اذ ما ادرانا على وجه القطع ان هذه الرسالة هي من الله ذاته, و قد ذكرنا في مواضع اخرى ان البرهان القاطع التام على ان القرءان من ذات الله (الكائن كشخص مفارق في مساحة اخرى في الوجود المطلق) لا سبيل اليه. فعلى ذلك, يكون مقدار يقيننا بسر

الخلق الذي اخبر عنه القرءان هو بقدر يقيننا على ان القرءان من ذات الله, فكلما زاد هذا الاخير زاد صاحبه و كلما نقص نقص صاحبه ايضا.

فاذن كل كلام عن سر الخلق لا يكون على سبيل القطع التام الذي لا مجال للريب فيه, اللهم الا اذا ثبت بطريقة لا ريب فيها و لا شك على ان القرءان العربي هذا نفسه من ذات الله, و لهذه المسألة الاخيرة مباحث اخرى. فبحثنا هذا مبني اما على غلبة الظن, و اما على ظن و تكهن ايضا, حتى اشعار اخر من مباحث اثبات الوهية القرءان بالمعنى السابق الذكر. فنحن هنا سنبحث نظرية القرءان في سر الخلق من حيث ذكر القرءان لها. و اما صدق هذه النظرية فمستنده مباحث الوهية القرءان فيراجع هناك. و قد تعجبنا النظرية في ذاتها او لمنافعها و جمالها فنقبلها مثل ما نقبل الكثير من الامور في هذه الحياة بدون ان نكون متيقنين تماما من صحة ما قبلناه او نفعه. الذي يزعم انه لا يقبل شئ حتى يكون على يقين مطلق به انما هو يخادع نفسه و الناس. الاف الامور بل ملايين الافعال تقوم بها انت و انا و كل فرد فينا يوميا , و باطمئنان كبير او تام احيانا, و نحن لسنا على يقين قاطع تام من صحتها او حصول السلامة فيها. تأمل مثلا في ركوب السيارة للذهاب للعمل. هل تعلم عدد الحوادث التي يقتل فيها الناس كل يوم بسبب حوادث السيارات؟ الاف. فهل انت على يقين قاطع تام انك ستذهب الى العمل سالما و ترجع سالما و لن تقع في حادث سيارة قاتل في الطريق؟ بالطبع لا, بل لعل نسبة اصابتك محتملة الى حد بعيد. و لكنك مع ذلك تقوم بها و تخرج من البيت باطمئنان و لعلك لا تلتفت اصلا الى امكانية وقوعك في حادث قاتل يفجر سيارتك و يفجرك انت ايضا معها! و كذلك مثلا عندما يقول المذيع في نشرة الاخبار الجوية ان غدا سيكون يوما ممطرا, فان هذا الخبر ليس يقيني تماما, و انما هو محتمل الى حد ما و قد يكون محتمل الى حد كبير, على اية حال هو ليس يقين قاطع, و لكنك مع ذلك قد او ستاخذ معك مظلتك تحسبا لوقوع المطر. و كمثل اخير, تأمل في نومك الهانئ في الليل, هل تعلم مدى السرقات و جرائم الاغتصاب و القتل التي تقع في الليل؟ الكثير جدا. فهل انت على يقين قاطع تام ان بيتك سيكون من البيوت الامنة و ان اهلك كزوجتك و ابنتك سيكونا امنين تماما في هذه الليلة لتنام مطمئنا لا يطرف لك جفن, بل لعلك تغوص في الشخير ايضا؟! فاذن باختصار: نحن لا نعيش باليقين التام بل و لا بشبه يقين في الاعم الاغلب من حياتنا و افعالنا. فلا نأتي الى الدين و نستفرد عضلاتنا عليه في كل صغيرة و كبيرة و ندعي اننا لن نقبل منه شئ الا ان كان بيقين قاطع لا يختلف عليه اثنان.

و من دراسة القرءان و ادراكنا لصدق الكثير جدا من اياته, بل الى الان اني لم اقع على اية الا ووجدتها صادقة عميقة, فمن طول هذه الدراسة و هذا الادراك يطمئن قلبنا الى الايات التي لا تحوي معلومة تكون بنفس قوة باقي الايات التي يمكن مشاهدتها في الافاق و الانفس, كمثل هذه الاية التي تتحدث عن مسألة شخصية في أصلها, او اعتبارية وضعية (اي ان القرءان يريدنا ان نعتقد ان سر الخلق هو "ليبلوكم ايكم احسن عملا" , فالأمر الاعتباري

الوضعي هو الذي لا يتحدث عن سنة افاقية او نفسية يمكن لاي انسان ان يراها و يتأكد من صدقها في الافاق و الانفس. لا, هي أمر تشريعي ان شئت, كمثل تحريم الامهات او الامر بعدم القتل و الزنا و ما شابه. فهذه اوامر و ليست حقائق من هذه الزاوية, اذ من الناس من يعاشر امه و منهم من يقتل و منهم من يزني. و لكن الحقيقة تتحدث عن سنة خلقية لا يملك احد ان يبدلها بل ليس له الا الخضوع لها بطبيعته كمثل قانون الجاذبية او التنفس للبشر الحي) فالقرءان يحوي حقائق خلقية, و يحوي اوامر و ارشادات. فقد نعتبر ان جعل سر الخلق هو هذا الابتلاء يدخل في الاوامر و ليس الحقائق. او على الاقل انه ليس من الحقائق التي يمكن ادراكها في هذه النشأة و على فرض وجود نشأة اخرى سيتبين عندها الحق (و هذا الاحتمال عليه مأخذ شديد و هو: ان كانت حقيقة و لا يمكن معرفة صدقها في هذه النشأة و الحياة, و ان كانت معرفة حقيقتها في عالم اخر بعد هذا لن تنفع احدا في شئ, فأي فائدة في الاخبار بها اصلا؟!).

فخلاصة ما فات هي هذه: نظرية القرءان في سر الخلق يمكن ان تصبح يقينا اذا تيقنا ان هذا القرءان صدر من ذات الله الخالق. و قد تكون من اوامر القرءان الاعتبارية الوضعية و تكون قوتها مستمدة من القرائن و نفعها للناس. فأقل ما يقال في هذه النظرية القرءانية انها واحدة من النظريات التي يقدمها الناس للاجابة عن تساؤل سر الخلق الشديد الاهمية هذا, و الذي لا يوجد فرد الا و له اجابة فعلية عنه حتى ان امتنع عن الاجابة القولية الفلسفية عنه. فكل فرد يحيا بطريقة معينة انما يحيا لانه يملك تصورا معينا عن الحياة, و تصوره هذا يحوي في باطنه رأي هذا الفرد عن سر الخلق, حتى ان لم يدرك هو نفسه ان رأيه هو كذا. فتأمل!

(ما مقدار الرحمة في هذا الابتلاء؟)

الله يريد ان يعرف من سيفضل الحيوة الدنيا على الحيوة العليا. اي من سيفضل ان يختار حيوة التنافس المادي و اللعب و اللهو و الزينة و التفاخر و التكاثر في الامول و الاولاد على حياة العلم و الروح و التعاون و المشاركة و العدل و الاحسان. من سيكون مع فرعون و من سيكون مع موسى. الذي سيكون مع فرعون سيعذب الى ما شاء الله. و الذي سيكون مع موسى سيتنعم الى ما شاء الله. في الدنيا و في الاخرة. فأهل الدنيا سيتعذبون الان, و اهل الاخرة سيتنعمون الان. و سيكون الجزاء لاحقا على حسب النفوس الان. هذه هي خلاصة النظرية , فلنفصل قليلا.

اما عن كون اهل العلم و الروحانية يتنعمون الان في نعيم لا ينقطع باطنيا اذ سبب فرحتهم فيهم, و ان اهل الدنيا و التنافس الظاهري يعذبون الان اذ ما ان يصعدوا حتى يتحطموا و ما ان يصعدوا من ناحية في الحياة حتى يتحطموا

من ناحية اخرى,و قد اشبعنا هذه المسألة شرحا في مواضع كثيرة فلا نعيد الا على سبيل الاشارة, فهذه حقيقة مشاهدة و معروفة عن خبرة لكل حي واع بل و غير واع. و لكن تساؤلنا هو عن وجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الان, اي مرحلة اخرى؟

قد دافعنا في مقالات اخرى عن عدم وجود مثل هذه الحياة الاخرى. و قد استدللت على ذلك يامور كثيرة منها قرءاني و منها عقلاني. في هذا المقال اريد ان ادافع عن الرأي القائل بوجود هذا الامتداد , مع الرد على مقالاتنا تلك.

يقول الله "ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى. فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى". اذا اعتبرنا ان الساعة هي رمز على امر باطني, و هو القيامة النفسية , فاننا نكون على حق كما هو معروف عن الراسخين في العلم. و لكن ما اراه ان الساعة في الاية السابقة تشير الى معنى اخر, و هو الساعة الكبرى الكونية, اي الحياة الاخرى الممتدة بعد هذه الحياة. او لعلها حياة متواجدة الان و يكون الموت عن هذا الجسم هو انتقال لذلك العالم الاخر. و ذلك لاسباب :

يقول الله عن هذه الساعة "اكاد اخفيها". قد نحدد اربعة درجات للظهور من وحي هذه الكلمة الهية: اخفيها, اكاد اخفيها, اكاد اظهرها, اظهرها. فان الله لم يخفي هذه الساعة تماما بأن لم يجعل عليها اي دليل من اي نوع كان حتى لو كان من النوع الظني, لا, و هو ايضا لم يقل "اكاد اظهرها" فيكون امر الساعة اميل الى الظهور منه الى الخفاء, و كذلك لم يظهرها. الساعة بالمعنى الباطني الروحاني ليست امر خفي و لا اكاد اخفيها, بل انه امر يقع تحت بند "اظهرها" او "اكاد اظهرها" في اسوأ الظنون. فالقيامة الروحية و العقلية هي من الامور الظاهرة في العالم كله, بل ان شرحها لأجهل الجاهلين قد لا يأخذ اكثر من ايام معدودات. و الكثير جدا من الناس يقرون بوجود هذه القيامة و التغيير النفسي و الصحوة العقلية و معرفة الله و غير ذلك من امور. و الادلة على هذه الساعة الباطنية كثيرة جدا, منها افاقي مثل نزول الماء من السماء ليحي الارض بعد موتها, و منها نفسي مثل النوم و الاستيقاظ , و منها قراءة سير العلماء و المفكرين و شعراء العشق و العرفان و كتبهم, و غير ذلك. ففي اضعف الاحوال تكون الساعة النفسية الروحية تقع تحت حكم "اكاد اظهرها". و التحقيق يدلنا على انها ظاهرة فعلا, و كم من الناس نراهم كانوا جهلة قساة القلوب ظاهرا و بعد تأملات معينة او حوادث معينة او لقاء عالم روحاني معين اصبح من اطيب الناس قلبا و احسنهم خلقا و اطلقهم لسانا. فالساعة القلبية يقين مثل اليقين في اي تجربة علمية محكمة. و كما قلت فانها ظاهرة او تكاد تكون ظاهرة في اسوأ الاحوال و سوء الشك في الموضوع. فمهما كان, لا ينطبق عليها "اكاد اخفيها". فنعلم من هنا ان هذه الساعة تتحدث عن ساعة اخرى غير النفسية.

فاذا طبقنا هذه الكلمة "اكاد اخفيها" على الساعة الكبرى , اي القيامة العظمى الكونية, فان المعنى يكون منطبقا تماما. فكما رأينا في المقالات التي ذكرنا فيها الحجج المؤيدة لعدم وجود حياة اخرى, و كما يذكر غيرنا من المفكرين في هذه المسألة, فان ميزان خفاء الساعة يكون ارجح من ميزان ظهورها. و فعلا, الذي يعيش حياته بناء على تلك الحجج , اي على اساس انه لا يوجد هذه الساعة اصلا, فانه سيكون على حق في فعله هذا, و حجته صامدة. بل الله نفسه يؤيد له حجته و يقول "اكاد اخفيها" بالاضافة الى كل الادلة الاخرى التي تذكر في هذا المجال. فنعلم من هنا ان الله لا يريد اظهار وجود هذه الساعة اصلا. هو تعالى لا يريدنا ان نكون متيقنين من وجود الساعة الكبرى هذه اصلا. بل لولا تفجر رحمته و تفلتها من عقالها لكانت الساعة تحت حكم "اخفيها", و ليس "اكاد اخفيها", و ان حكمته هي التي ربطت رحمته و منعتها من تحويل الساعة الى "اكاد اظهرها" او "اظهرها".

فاذن, الله لا يريدنا ان نؤمن بهذه الساعة بالكلية, او على وجه اليقين. فهو نفسه منع ان تكون حجتها يقينية, و لو شاء لفعل كما فعل في مسائل اخرى. هذا الاستنباط حقيقة قرءانية و علمية.

و الان يهجم علينا تساؤل عظيم و هو: لماذا لا يريد الله ان نوقن بهذه الساعة ؟ الجواب يأتينا في نفس الاية "لتجزى كل نفس بما تسعى". ان يقين الناس بالساعة لن يظهر بواطنهم, لن يظهر رغباتهم الحقيقية, لن يظهر مكنون انفسهم, لن يظهر ماذا سيفعلوا ان امنوا العقاب و يئسوا من الثواب السرمدي في حياة بعد هذه الحياة.

فلنضرب مثلا: رجل يريد ان يعرف مقدار عشق زوجته له, فسافر و تركها في بيت لا رقابة عليه مطلقا بحيث ان الزوجة حرة تستطيع ان تفعل ما تشاء. و لكن الزوج بينه و بين نفسه جعل جهاز تصوير صغير يراقب زوجته اينما كانت في المنزل, و لكنه لم يخبرها بوجود هذا الجهاز. فبالنسبة لها زوجها في حكم الميت الذي لن يعرف شئ عن افعالها مهما فعلت. الان في مثل هذه الاجواء يمكن ان يعرف الزوج ما في مكنون نفس زوجته و تقديرها الحقيقي له. فلو كانت تعرف ان البيت مراقب و انها ستحاسب فانها ستحسن الادب و ستتصنع له. فلن يعرف الزوج حقيقة نفس زوجته. "الم. احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا و هم لا يفتنون. و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكذبين".

ان الله جعل الرجحان لكفة عدم اليقين بهذه الساعة حتى يعلم من يرغب في الله فعلا, و من لا يرغب فيه. الله حق, سواء وجدت الساعة ام لم توجد. و اهل الفكر المستنير يعلمون ان معرفة الذات المطلقة الالهية شئ, و معرفة وجود نبوة او اخرة و ما الى ذلك من مسائل شئ اخر. فلا تلازم تام بين الامرين. فكم من مؤمن بالله كافر بالأنبياء و الاخرة. الله يريد ان يعرف من سيختار الحياة به, و من سيختار الحياة في غفلة عنه و بلا اعتبار لذاته. الله يريد ان يعرف من سيسعى للاتصال به و الاستمداد من نوره و من سيعمل كفرعون و امثاله من المترفين الذين دفعهم عدم ايمانهم بالاخرة لان يقولوا: حيث اننا لن نحاسب فلنفعل ما نشاء. الله يريد هذا بالضبط.

ان خفاء الساعة هو الذي سيؤدي الى ان تظهر كل نفس ما ترغب فيه حقا و تسعى اليه قلبا و قالبا, و عندها تكون هذه الحياة ابتلاء فعلي تظهر فيه مكنونات النفوس, ثم يوم تقوم الساعة "تجزى كل نفس بما تسعى". و تأمل انه لم يقل: لتجزى كل نفس بما حصلت. و لكن "بما تسعى". اي ان الله يريد ان يعرف اي نوع من الحياة يرغب فيها قلبك. لماذا ستسعى في هذه الحياة؟ لن يظهر جوهرك الفعلي الا بخفاء الساعة, الا بغياب الرقيب و الامن من الحسيب. في هذه الحالة فقط يكون معنى قوله "ليبلوكم ايكم احسن عملا" له قيمة. فالزوجة التي توقن بأن زوجها يراقبها لن تخون و تفجر و ان كانت ترغب في ذلك من كل قلبها, و الزوجة الأمينة لن تخون و تفجر و ان امنت من كل عقاب او جزء حساب. تبلى القلوب عند الامن و ليس عند الخوف.

نعم, ان الكثير من الناس لن تستطيع ان تحيا الحياة الروحية العلمية لاسباب شتى منها طغيان فرعون و حزبه على الأرض, و غير ذلك من اسباب. فما ذنب هؤلاء الذين خلقوا في هذه المجتمعات التي تربي الفرد على الاسلوب الدنيوي و تنشئ فيه العقد النفسية التي تمنعه من الاختيار الحر بين الحياة الالهية و الحياة الطغيانية؟ الجواب: لا يوجد فرد الا و يفكر في هذه المسائل يقينا. و ان الله لا يحاسب الا من قضى من العمر ما يكفي ليتذكر فيه من يرغب في التذكر, و الله عدل و لن يظلم احد شيئا و الكل سيجادل عن نفسه. و ثانيا, يقول الكتاب "و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله", فكل من ينوي الهجرة الروحية الى الله و لوازمها فعند الله هو مهاجر و اجره على الله. فكما عرفنا, فان الله لا يعتبر الوصول و يكتفي بالسعي- سبحانه من رحيم كريم. و ادنى السعي الرغبة الصادقة, و الله يحول بين المرء و قلبه و هو اقرب اليه من حبل الوريد. فالابتلاء انما هو سؤال واحد لا اكثر و لا اقل: هل تريد ان تحيا في المنافسة الدنيوية, ام تريد ان تحيا مع الله و به؟ و يتفاوت الحساب و الميزان بحسب ما توفر لكل فرد من دواعي اختيار حياة الله و رفض الاسلوب الدنيوي الوحشي. الخوف من فرعون ليس حجة مقبولة, فبني اسرئيل الذين لا يخرجون مع موسى بسبب الخوف من فرعون و ملأيه فانهم مع من خافوهم في جهنم. و كذلك الادعاء بأن في الخروج الى الله و العيش على احكامه فيه مشقة و

صعوبة ليس حجة مقبولة, فنار جهنم اشد حرا لو كانوا يعلمون, و يعاني العلماء ليل نهار بسبب اختيار الله فلن يعذر سواهم. "و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج".

على اية حال, هذه نظرية لا برهان يقيني عليها بل اقل من يقيني. و الدرس منها هو هذا: احيا حياتك كانه لا يوجد غيرها, و على فرض وجود حياة اخرى فانك لن تجزى الا على اساس سعيك في هذه الحياة. فان اخترت حياة العقل و النور و التعاون مع الناس و السلم فلك اقصا نعيم ممكن في هذه الحياة-ان حالفك الحظ. و ان وجدت الحياة الاخرى فلك نعيمها ايضا "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون", و ان لم يكن ثم الا هذه الحياة فانك ستحيا في نعيم الفكر المستنير و الروح و الاتصال بالذات المطلقة جل شأنه, و كفى بهذا النعيم كغاية تدفعنا الى الحياة المستنيرة.

"من يعمل مثقال ذرة خيرا يره. و من يعمل مثقال ذرة شرا يره".

و مع الاسف فان هذا الكلام لا دليل يقيني عليه... او لحسن الحظ!

(وهم منطقي)

يوجد قلة قليلة جدا من الناس- على الأقل في ظل الوضع الحالي- ممن يملكون القدرة على التحكم بأنفسهم لدرجة أنهم يستطيعوا أن يعتقدوا بما يرغبون في الاعتقاد به حتى لو كانوا يعلمون أنهم انما يعتقدون به لانهم "يرغبون" في ذلك فقط, أي حتى لو لم يوجد ما يسمى بالبرهان ليثبت صدق هذه العقيدة واقعيا. و اما جمهور الناس فانهم أيضا يعتقدون بأمور لانهم يرغبون في الاعتقاد بها الا أن الفرق بينهم و بين هؤلاء القلة القليلة هي أن الجمهور يعتقد انه يتبع الحقيقة المطلقة. فكلا الفريقين واهم, الا ان الأول يدرك انه واهم و الثاني يعتقد أنه على بصيرة تامة من أمره. و الوهم شئ عظيم فلا تستصغره. لقد اعتدنا أن نجعل الوهم مقرون بالتخريف و الكذب و الضرر و ما شابه من سوء. و الحق أنه يوجد الكثير من الامراض في العالم لا يستطيع كل أطباء العالم أن يعالجوه بينما الاعتقاد بوهم واحد كفيل بعلاجها. و كما جاء في الحكم العطائية المباركة "ما قادك شئ مثل الوهم".

فبما أنه كما تبين لنا في الابواب السابقة, لا يوجد سبيل يقيني تاما الى معرفة ماذا سيحدث بعد موت الاجسام المعروف. فان كل ما يمكن ان نتصوره عن ما بعد موت الجسم انما هو وهم. وهم في وهم. فالفرق بين وهم و وهم لا يرجع الى براهين عقلية و نقلية بقدر ما يرجع الى منفعة هذا الوهم او أرجحيته بناء على قرائن. و ظاهر أن المنفعة و القرائن ترجع في معظمها ان لم يكن كلها الى ذوق الانسان نفسه او رغبة السلطة الحاكمة في المجتمع. فهنا يجب التمييز بين الاعتقاد الوهمي على المستوى الفردي, و بين الاعتقاد الوهمي على المستوى الاجتماعي. على المستوى الاجتماعي لا نملك الا أن نساير الوهم السائد ان كان فعلا هو الانفع لسير الحياة الاجتماعية بأبعادها المختلفة. و أما على المستوى الفردي فتوهم كما تشاء.

ما هي الاحتمالات الممكنة للذي سيقع بعد موت الجسم؟

يوجد ثلاثة احتمالات لا رابع لها: اما انه عدم, و اما انه يوجد شئ بارادة غيرنا, و اما انه يوجد شئ حسب ارادتنا. تعالوا نفصّل هذه الاحتمالات و نرى أيهما هو أجمل وهم.

الاحتمال الأول أنه عدم. هذا يعني انه لا يوجد شئ. فأول ما يموت جسمك ستنتهي و تصبح في حكم المعدوم الذي لم يوجد أصلا. كمثل شجرة أزهرت في الربيع و ماتت في الخريف فقطّعها الناس و أخذوا خشبها و أحرقوه في النار و أفنوا كيانها, افنوه بمعنى حللوه الى اجزاءه و بذلك انتهى الكيان المعروف ب "الشجرة". و هذا هو الموت بالنسبة للأجسام: تفرق الأجزاء المكونة له. فلا شئ يفنى في الواقع, يفنى الى اين!! انما هو تحول من حالة الى حالة.

فتشتت الاجزاء هو الموت بالنسبة للكيان الكلي الذي تكون عن تجمع هذه الاجزاء, و اما الاجزاء نفسها فانها تعتبر حية, لان كل شئ يتكون من ذرات و هذه الذرات –بالتفصيل الفيزيائي المعروف- حية دائما و حتى اذا تحللت الى اجزاءها فان هذه الاجزاء تكون حية و هكذا. فالانسان- أنت- على اعتبار انك مجموعة من الاجزاء الجسمانية و الباطنية, فان تفكك هذه الاجزاء بموت أحدها يعني انك قد مت.

و هنا يجب أن نلاحظ أن نظرتنا للموت تتضمن نظرتنا الى أنفسنا. فان كنا مثلا نعتقد انه بموت الجسم سينتهي الانسان تماما, فان هذا يتضمن أننا ننظر الى أنفسنا على أننا مجرد أجسام. و لكن من يعتقد مثلا أنه روح دخل في جسم, و هي العقيدة المشهورة وسط المتدينين خاصة, فان موت الجسم لا يعني أكثر من خلع ثوب, فالثوب يبلى و يمكن أن تبقى عاريا او تلبس ثوبا جديدا, و هكذا هؤلاء ينظرون الى الموت على انه تحرر من سجن الجسم و بالتالي يكون وهمهم المنطقي هو انهم سينتقلون الى عالم الأرواح. و هذه الملاحظ تزيد من أهمية النظر في مسألة الموت و عدم الفرار منها أو اعتبارها من الترف الفلسفي او كلام العجائز و المعقدين نفسيا. من يظن ذلك هو مع كل احترامي حمار بن حمار. و ابوه الحمار هو تصوره الذي جعله يولد هذا الظن الأخرق. لو شئت أن أبين التداعيات التي تترتب على كل اعتقاد عن الموت لوجدتنا نتحدث عن الحياة و مافيها بكل فروعها حتى أصغر الفروع. نظرتك الى موت تؤثر بقوة على نظرتك الى نفسك, و أيضا نظرتك الى نفسك ستؤثر بقوة على نظرتك الى الموت و بالتالي على حياتك كلها.

فخلاصة هذا الاحتمال هو أنك مجرد جسم و موته يعني انتهائه تماما الى غير رجعة.

الاحتمال الثاني هو أنه يوجد حياة و لكن نوعيتها محكومة بارادة غيرنا أيا كان هذا الغير. و هذا يعني كما انك دخلت او خلقت في هذه الحياة الان بدون ارادتك (ظاهرا على الاقل, اذ ما ادرانا, لعلنا اخترنا و نسينا كما يصاب مرضى الزهايمر!) فكذلك ستكون المرحلة القادمة بغير ارادتك و لا علاقة لك بنوعية الحياة التي ستعيشها في المرحلة القادمة. فأنت لم تحدد ظهر الرجل الذي كنت فيه, و لم تحدد رحم الام الذي سكنت فيه, و لم تحدد نوعية الحياة داخل الرحم أو مدّتها, و لم تحدد متى ستخرج الى هذا العالم, و لم تحدد من سيكون اخوك او أختك و لا شئ من ذلك كله. فكما انه ليس لك من أمر هذه الحياة شئ, فكل مراحلك السابقة لم تكن بيدك بل كانت بيد ارادة أو ارادات أخرى, فكذلك لن يكون لك من أمر المرحلة القادمة شئ. و هنا لا يهمنا ان نعرف ارادة من ستكون المسيطرة في المرحلة القادمة, انما المقصود هو انها ارادة غيرنا بغض النظر عن هوية هذا الغير, او كونه فردا او جماعة.

فالمرحلة القادمة حسب هذا الاحتمال ستكون اما ببعث الجسم الميت (على فرض انك مجرد جسم) و اما بانتقال ما يسمى الروح او النفس الى عالم اخر كما ان الجنين بعد أن نضج في رحم الام وجاء وقت خروجه خرج الى هذا العالم وترك العالم الأول (رحم أمه). الفرق أن بعث الاجسام لا يكون الا على هذه الارض على فرض ان القيامة ستكون هنا, اللهم الا اذا شاءت الارادة العليا أن تبعث الاجسام في عالم أخر, فالمقصود انه يوجد مدة زمنية بين الموت و البعث. و اما حسب التصور الروحي او النفسي, فان موت الجسم يعني انتقال مباشر للنفس الى العالم الاخر. فحسب التصور الاول يوجد فاصل زمني بين الموت و الحياة الاخرى, و حسب التصور الثاني لا يوجد هذا الفاصل الزمني. فالحياة مستمرة حسب التصور الثاني بلا انقطاع, انما هي انتقال من طور الى طور. و يوجد نظرة تجمع بين هاتين النظرتين, و هي ان النفس ستنتقل الى عالم اخر مباشرة, و عندما يتم البعث الجسماني سترجع كل نفس الى الجسم الذي كانت فيه. و بصراحة هذا الوهم المركب لا أدري كيف أفلسفه, و لا أدري أي فائدة في أن يرجع الشيخ الى رحم أمه! و هل هذا من سنن الافاق و الأنفس؟! المهم كما عرفنا, يجب ان لا نحاول ان نبرهن هذه الاوهام, لانها بكل بساطة "أوهام" و سترى ان كل وهم منها مبني على رغبات السلطة الحاكمة او ما شابه من تفكير بناء على المنفعة او الرغبة المحضة.

و أما الاحتمال الثالث فهو أن الحياة القادمة ستكون بحسب رغبتنا نحن. بمعنى أنك ستذهب الى المكان و الحالة التي ترغب أنت في أن تذهب اليها. كمثل شديد التبسيط: كمثل ان يطلب الابن من أبيه ان يشتري له منزلا معينا في بلدة معينة و يرسله اليها. و هذا الاحتمال يعني انك ستذهب حيث تشاء أن تذهب. هكذا باختصار.

و هذا الاحتمال يفترض ان العوالم مصممة بطريقة تجعل رغبة كل نفس تنتقل الى الحالة التي ترغب فيها بعد موت الجسم, أو ان رب أو أرباب عندهم قدرة على تلبية طلبات الناس سيخلقون لك نفس العالم الذي تشاؤه لينتقلوا اليه بعد موت الجسم. فهو كأن يقول العبد لربه "يا رب, لقد تعذبت في هذا العالم و هذه الحدود الكثيرة, اخرجني من هذه القرية الظالم وضعها و الظالم أهلها, و اخلق لي جنة خاصة بي تكون صفاتها كذا و كذا.. انك على كل شئ قدير و بالاجابة جدير ". و أحسب ان كلمة الفردوس توحي بهذا المعنى. فلعلها مكونة من كلمتين "الفرد" و "دوس". فهي المكان الذي تكون فيه أن الفرد الحاكم المطلق الفعال لما يشاء و يريد, و تكون لذلك تملك القدرة على ان تدوس كل ما لا ترغب فيه و تجعله تحت قدمك و تزيله من الوجود. فهو أن تصبح الها. و هل يوجد أمنية عند الانسان أكبر من أن يكون الها! بل هل يوجد عنده أمنية غيرها!

من هذه الاحتمالات الثلاثة, أيها أجدر بأن نتوهمه على المستوى الفردي على الاقل؟

أما الاعتقاد بالعدم فانه لا فائدة فيه الا بالنسبة لمن يريد ان يجرم في هذا العالم و لا يريد ان يشعر بأنه يوجد احتمالية لان يحاسب فيها و ما أشبه. و لو اعتقدنا بالعدم فاننا لن نكون قد اجبنا بتصور ايجابي عن المرحلة القادمة- ان وجدت. و لا أدري عنك ايها القارئ, الا انني لا أفضل أن اعتقد بالعدم. لانه لو صدق اعتقادي فانني لن اعرف ذلك لانني ساكون معدوم! و لو كذب اعتقادي فلماذا أعتقده أصلا؟! فيظهر لي انه توهم فارغ لا طائل من ورائه. بل قد يجعل نظرتي لهذه الحياة الى حد ما بلهاء, لان هذا السجن الذي نحن فيه- سجن الحدود و القوانين الافاقية و النفسية و الاجتماعية- يجب ان يكون لي أمل في الخروج منه حتى أتحمله. و عندي لا يوجد سبب لخلق هذه الحياة الا العشق في السر. فهذا هو العمل الوحيد الذي يعطي طعما لهذه الحياة المحدودة. فالاعتقاد بالعدم يعني انني حكمت على نفسي بالسجن المؤبد! و ليست المشكلة في كون توهمي صادق ام كاذب, المشكلة أن كل حياتي ستتأثر بهذا التوهم, و اثره سيكون سلبي مثل طبيعة الوهم نفسه, فالعدم سلبي ميت. فتوهمه يساوي الانحدار معه. فلا.

و أما الاعتقاد بحياة و لكن بارادة غيري. فما الفائدة من هذا التوهم أصلا. ان كان غيري سيفعل كل شئ, و ما انا الا مسيّر الى ذلك المصير, فتوهم هذا الاعتقاد يساوي رفضه. فسواء رضيت به او رفضته لا فرق في الواقع. و هذا التوهم فيه أيضا شئ من السلبية و السير نحو مجهول مطلق, و المجهول لا يكون أملا جميلا! و كبريائي يحول بيني و بيني الرضا بهذا الوهم, بل ان معرفتي بربي و علاقتي به تحول بيني و بينه. فاذن هذا أيضا لا.

فلا يبقى الا الاعتقاد بحياة و لكن بارادتي. بمعنى أنني سأذهب الى حيث أشاء. و سأكون في "الفردوس" بالمعنى الذي شرحته سابقا. و شخصيا, أرى ان ربي سيعطيني ما أطلبه منه. فان كان دعائي و طلباتي في هذه الحياة تستجاب , و ان كنت أجد نفسي في هذه الحياة أوفّق الى ما أريد و أحب و ارضى, فمن الأجدر اذن أن أثق بأن ربي سيعاملني كما عوّدني بل و أكثر. و هذا هو الوهم المنطقي الذي أعيش به. "لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد" هذه هي عقيدتي في مسألة الحياة لما بعد الموت...فما هو وهمك انت؟

كل حديث على مرحلة بعد موت الجسم انما هو لعب في مساحة تحتمل الكثير. و لا مرجّح أكثر من القرائن و الاذواق و المعرفة التجريبية الشخصية للانسان بالوجود. و أحيانا تخطر لنا تصورات عجيبة و عميقة أيضا.

فمثلا, أرى أن أحد الاحتمالات القوية هو أن الناس ينقسمون الى ثلاثة أقسام: الذين يغلب عليهم شهوة الجسم, و الذين يغلب عليهم شهوة الفكر, و الذين يغلب عليهم شهوة الذكر. و النفس هي حصيلة تأثير هذه العوامل الثلاثة, اي الجسم و القلب و الروح. العالم الظاهري و العالم الفكري و عالم الوحدة المطلقة. فالنفس تشبه الوعاء الذي تصب فيه هذه الانهار الثلاثة. و عند الموت يتم أخذ النفس من قبل القوى العليا المدبرة اللعوالم, فان وجدوا انه يغلب عليها الطابع الجسماني فعندها يتركونها تهيم في عالم الاجسام – الارض- و لكن بدون ان تستطيع أن تشارك فيه و تؤثر فيه او تستلذ به, و قد كنت استوحيت هذا المعنى من اية "و حيل بينهم و بين ما يشتهون" أو لعلها ترجع في جسم اخر كما يقول أصحاب فكرة التناسخ و يوجد اشارة لهذا أيضا في اية "بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب". و ان وجدوا انه يغلب على النفس الطابع الفكري العقلاني اخذوها الى عالم الافكار و العقول- السماوات- و تكون درجتها في السماوات بحسب درجتها في الرقي الفكري العقلي. و أما ان وجدوا انه يغلب عليه العشق و التأله المحض في ذات الله الاحد فان ترتفع الى ما فوق السماوات, الى عالم العرش فتكون قاب قوسين أو ادنى من الوحدة الصرفة ووجه الله المطلق.

هذه الرؤيا تقسم الناس بحسب الطابع الغالب عليهم. الشهوة و الفكر و الذكر. و الحكم بالميزان. فمن غلب عليه طابع التحق بعالم ذلك الطابع.

و بسحب القرءان فان الذين يجعلون محور حياتهم و معيار حكمهم و الغالب على تفكيرهم هو فقط شؤون شهوة الجسم, فان هؤلاء هم الانعام و الوحوش و الكلاب و ما أشبه من أمثال. لانهم أرادوا فقط أن يكون مثل الحيوانات التي تدب على هذه الارض, فمن من هذا العالم. و هذا ليس قدحا فيهم و لا تنقيصا من شأن الحيوانات بحد ذاتهم, بالطبع لا, انما هو وصف دقيق لهم و لطورهم و درجة وعيهم كما قال "فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم" فلاحظ انه سمى ما هم فيه "علم". "ذلك مبلغهم من العلم". فهم ليسوا في جهل و لكنهم في علم. و لكن هذه هي درجتهم بالنسبة لدرجات العلم و العرفان المتعددة جدا.

و أما الذين يجعلون محور حياتهم و معيار حكمهم و الغالب على أعمالهم هو شؤون الفكر و البحوث العلمية و القراءة و الكتابة و ما أشبه من فروع حياة الفكر و العلم, فان هؤلاء هم اهل السماوات. و هم دائما في خير, و درجتهم بحسب رقيهم الفكري و درجة التزامهم باتباع العلم و ليس الهوى , و برجة اخلاصهم للعلم ذاته , و درجة اخضاعهم العلم لمصالح الوحوش البشرية او توسلهم بالعلم للتفاخر الدنيوي على بعضهم البعض و البغي على بعضهم البعض, و هكذا. باختصار: بحسب رتبهم في العلم و حياة العلماء و المفكرين المخلصين.

و أما الذين حياتهم كلها ذكر لله, و الاستثناء هو الانشغال بالأمور الاخرى من شهوة و فكر. فهؤلاء هم العشاق, اهل الله و خاصته. و هؤلاء لا يوجد درجة في العوالم يمكن أن تحويهم, لان الغالب على طبعهم هو التعلق بالوحدة المطلقة لوجه الواحد القهار- جل جلاله. فأي حد سيسع نفسا لا حد لها! ان من الظلم ان يوضع العشاق في عالم من العوالم المحدودة, و ان الله لا يظلم الناس حاشاه.

فان شئنا أن نستعمل أسماء قرءانية تلخص لنا هذه الرتب الثلاثة للناس. يمكن ان نقول عن أهل الشهوة "أبو لهب". و عن أهل الفكر "أهل الكتب". و عن أهل الذكر "ابرهيم". فابرهيم هو الذي رفض اصنام الأرض, و أعرض عن أوثان السماء, و تعلق بالوجه العظيم لفاطر السموات و الارض- تعالى ذكره و ذكر من يذكره و يعشقه.

فهذه الرؤيا تبين ان النفس يمكن ان تستقل بذاتها. بمعنى انها في هذه اللحظة متعلقة و مستقلة. متعلقة من حيث انها لا تزال في طور التكوين, فهذه المرحلة من الحياة هي مرحلة اعداد للنفس. بتأثير من الجسم و الفكر و التأله. و هذه هي الحضرات الثلاثة التي تؤثر في عالم الناس خاصة "الله الرحمن الرحيم". الله هو التأله, و الرحمن هو الجسم, و الرحيم هو الفكر. و هذه الاسماء تعبر عن الكمالات التي يمكن ان يبلغها كل واحد من هذه العوامل الثلاثة. بالبسملة تحوي كمال الانسان.

و يوجد اية و سنة تقول "الى الله تصير الامور". و هذه توحي بأن كل نفس يجب ان تبلغ الى الطور الاعلى لأهل الذكر. فأهل الأرض يتم اعدادهم ليدخلوا السماوات. و أهل السماوات يتم اعدادهم ليرتفعوا الى العرش. "و ان الى ربك المنتهى".

و لكني أرى أمر اخر. قد تكون الحياة على الارض الان يجب ان يتم التشبع فيها بالمتع الجسمانية, و بعد موت الجسم تنتقل النفس الى السماوات و يتم التشبع فيها بالمتع العلمية الفكرية, و بعد موت الجسد السماوي – او ايا كان ما ستحل فيه النفس هناك- تنتقل الى العرش و تظل هناك الى الابد في متع الذكر و التأمل في وجه الله. و قد يكون هذا هو الفردوس الفعلي, لان الفردوس وصف بان حالة النفس فيه تكون "لا يبغون عنها حولا". و الكل يمل من شهوات الجسم عاجلا ام اجلا, و يمل من شهوات الفكر عاجلا ام اجلا, لان الجسم و الفكر يتغيروا و تحيط بهم الحدود من كل جانب و يأتيها الموت و الانقضاء من كل مكان, و اما ذات الله فهو المطلق الذي لا شئ بعده او

ورائه و هو غاية كل مخلوق. فكل شئ يمكن ان نرغب في التحول عنه الا وجه الله. فبناء على هذه الرؤية, يكون علينا ان نتمتع بكل الشهوات الجسمانية الان, و علينا أن نسخّر كل الافكار و الاذكار لتكون وسيلة للمتع الجسمانية و التي أرقاها هي اللذة الجنسية. و هذه الرؤية مناسبة جدا للملاعين من البشر كما هو ظاهر!!

لكل رؤية حساناتها و سيئاتها. فحتى الرؤية الاولى التي تقول ان كل نفس ستذهب الى العالم الذي يناسب طابعها الغالب عليها, فان الناس اذا اعتقدوا بها فعلا, فان النتيجة ستكون ان غالبية الناس ستترك شؤون الفكر و تسترذل شؤون الجسم, و بالتالي سيتحول الى رهبان لا شغل لهم الا ذكر الله. فهذا هو اللازم من هذه العقيدة. فان كان مصيري سيتحدد بحسب عملي, و كان الاهتمام بالجسم قد يعرضني للبقاء هنا او العذاب, فان اهتمامي بالجسم سينزل الى أدنى درجة ممكنة , و ظاهر الاثر الاجتماعي و الاقتصادي السئ لمثل هذه العقيدة و هذا السلوك. و حتى الاعتقاد بوجود حساب بعد الموت, اقصد حساب بالمعنى المشهور عند الناس, ففضلا عن ضعف هذه العقيدة من نواحي عديدة, فان الحجة التي يقدمها انصارها "لاثباتها" كما يزعمون, و هي ان وجود حساب سيردع ناس من الظلم, فانه من الناحية الاخرى الاعتقاد بالحساب سيجعل الجماهير تتكاسل عن اصلاح حكامها و الاوضاع السائدة بحجة ان "الله سيحاسبهم فلنكل امرهم الى ربهم" و هي الجملة الشهيرة جدا عن جماهير اهل هذه العقيدة. فالاعتقاد بالحساب الاخروي بهذا المعنى سيكون- بل كان و لا يزال- من أكبر أسباب كسل و خنوع و تواكلية جماهير الناس. فمهما كانت الرؤية فانها ستحوي جوانب سلبية, و ان اتفرضنا وجود رؤية خالية تماما من هذه السلبيات كلها بحيث توفق بين منافع الناس في هذه الحياة و تعطيهم ما يكفي من الامل و السلام الداخلي بالنسبة للحياة القادمة- ان وجدت- فان مثل هذه الرؤية ستتعرض للتحريف المقصود و الغير مقصود. فمثلا رؤية الحساب, ان قلنا ان من اوامر الله للناس هي ان يقوموا بالقسط و يحاسبوا حكامهم و انه يجب عليهم اصلاح الاوضاع السائدة , فان اعتقاد الناس بأنهم سيحاسبوا اذا لم يقوموا بهذه الاوامر قد يكون من أكبر و أقوى الدوافع لهم لكي يقوموا بها. و أرى أن هكذا كانت هذه العقيدة في عقول منشئيها الثوار الأوائل, أيا كانوا لا يهم و لا أدري أصلا من أول من ابتكرها, و لكن كالعادة تحرفت و أصبحت الجماهير تبرر بهيميتها بهذه العقيدة الثورية ذاتها. و قس على ذلك.

فما العمل اذن؟ هل نقول "اختر وهمك و عش به" ..أم نسعى الى ايجاد الوهم الأقوم و ندعو اليه؟ و بأي حجة سندافع عن الوهم الاقوم المفترض هذا ؟ بأي حجة سندعوا اليه؟

قد نقول للانسان: ستذهب الى المكان الذي تحب, بشرط أن تكون انسانا خيرا في هذه الحياة. و هذه الرؤية تجمع كل خير ممكن من جميع الرؤى المحتملة. و هذه هي عقيدة الكثير جدا من الناس خاصة من المتدينين. و هي الرؤية التي عليها يمكن الاستدلال عليها بظاهر القرءان. فان غلب عليك الخير ستوضع في مكان كله نعيم, و ان غلب عليك الشر ستوضع في مكان كله جحيم. و لكن هنا سنرجع الى الانتقادات التي ذكرناها سابقا, و هو ما معيار الخير و الشر الذي سيحاسب بناء عليه الناس؟ لو كان يوجد مثل هذا المعيار المطلق المشترك فعلا, لهان الأمر. و لا يهم بعدها ان نكون مجرد اجسام ستبعث او نفوس ستنتقل او اي شئ اخر. و لا يوجد اي اعتراض من حيث قدرة الله على تنفيذ ذلك و هذه اعتراضات السفهاء فقط. فالنظر في هذا الكون كفيل وحده برد مثل هذه السخافات. فالانتقاد ليس في وجود قدرة او رغبة الهية لتنفيذ ذلك, الانتقاد هو في عدم وجود معيار مطلق للخير و الشر. و قد يكون الحل المتصور هو ان ينزل الله كتابا او امرا من عنده يضع فيه معيار الخير و الشر. نعم هذا حل موفق. و لكن هذا سيفتح باب واسعا جدا لدخول افواج من الانتقادات على الاديان و اثباتها و ما سوى ذلك من جدل, ثم على فرض اننا تجاوزناه بسلام- و لا أظن انه يمكن ذلك- فانه سيتم فتح باب جديد لدخول فوج اخر من الانتقادات المتعلقة بتفسير الكتب الالهية و هكذا الى ما لا نهاية. فعندما يقال ان الله سيحاسب على فعل الخير و الشر, فسؤالنا الاول هو :أي خير و شر؟ فان استطاع انصار هذه الرؤية ان يجيبوا باجابة شافية وافية كافية فعندها ننتقل الى الانتقادات الاخرى و ثقوب هذه الرؤية الكثير و قد عرضنا أهمها في الابوابالسابقة فلا نعيد.

قد يقال ان معيار الشر هو أذية الناس مثلا. أقول: هل تعرف أنك تؤذي الناس بمجرد وجودك بينهم, بغض النظر عن فعل أي شئ لهم. مجرد وجودك. نعم لا تستغرب. تأمل فقط في نفسك و ما تحدثه حولك من اثار بمجرد وجود و سترى. أعطيك مثالا: انت ان كنت سافلا منحطا بحسب معايير مجتمعك, فانه من الناس ستحتقرك و تزذلك الى حد ما, و هذا يعني أنك أنت كنت السبب في تولد مشاعر الاحتقار داخلهم, و هذا الشعور شعور مؤذي لقلوبهم و له مضاعفات و اثار سيئة على مختلف ابعاد الحياة النفسية و الاجتماعية كما لا يخفى على المفكرين. و ان كنت عظيما ناجحا, فانه من الناس من سيحسدك و يكرهك لانك أحسن منه, و هذا يعني انك أنت كنت السبب المباشر في توليد مشاعر الحسد و الكره في قلبه و هذا شعور مؤذي و له مضاعفات خطيره جدا كما هو معلوم و مشهور- مع الأسف! أن كنت تمشي على رجليك فان تسبب الأذى لمن كسرت رجله او قطعت رجله. ان كنت فتاة شابة كنت سببا لأذية المراة المسنة و هكذا. مجرد وجودك سبب لأذية الناس. هذا لم نتحدث بعد عن وجود افعالك و بقية اللائحة. فالذين يجعلون معيار الشر هو أذية الاخرين, عليهم أن يفكروا مرة أخرى و يتعمقوا قليلا, و لا يحسبوا ان الاذية هي فقط أن تمسك بعصا من حديد و تكسر بها جمجمة انسان. هذا و لم نسائلهم بعد من أين أتوا بمعيار الأذية هذا, و لم نسائلهم عن سبب وجود أذية الناس لبعضهم البعض و ما هو السبب الأول لوجود ذلك, الى اخره.

لا يتصور ان يحاسب الله الناس بهذا المعنى. لان الله هو الذي خلق الناس. و الخالق لا يحاسب المخلوق الا ان كان منفصم الشخصية – حاشا لله. و لا علاقة للجبر و القدرية في هذا الموضوع, الجبر و القدرية و الجدل حولهم هو من أسخف المسائل على الاطلاق التي استحوذت على تفكير بعض الناس لقرون. و ليتهم تناولوا المسألة بعمق حقيقي. انما كان كلامهم يطير في الهواء كمثل عطسة متناثرة , تسمع صوتا و لا ترى أثرا الا قليلا مقرف. كيف يحاسب الخالق المخلوق بهذا المعنى! تصور ان رجلا صنع سيارة تسير 300 كيلو متر في الساعة. السيارة مصنوعة و فيها الاستعداد لان تصل الى سرعة 300. هل يعقل ان يأتي صانع سليم النفس و يفجر السيارة لانها سارت بسرعة 300!؟ او هل يعقل ان يغضب على سائق السيارة اذا بلغ سرعة 300؟! الصانع السليم لا يفعل ذلك. و لكن الذي يضع القيود على سرعة السيارة هو اناس غيره, كمثل السلطة الحاكمة في المجتمع, لاسباب أمنية و للسلامة العامة. فالسلطة في المجتمع تنظر في هذه السيارة و تقول "ان صانعها مجنون, كيف يصنع سيارة تمشي 300, ما هذا التهور؟! لا لا, يجب ان نقيدها و نسمح لها فقط بأن تسير بسرعة 120 كيلو متر في الساعة, كحد أقصا, و من يخالف هذا الحد فانه سيعاقب" . الانسان مصنوع بطريقة تجعله يرغب في أن يكون الها لا حد له. فكيف يقال انه سيحاسب لانه سار بحسب ما يرغب! الخالق هو الذي وضع هذا الاستعداد في الانسان. فكيف يقيده؟! و بالمناسبة هذا من أقوى الانتقادات على فكرة ان الخالق أنزل أحكاما لتقييد الانسان. فليتأمل أولو الألباب. و لكن هل هذا يعني ان يفعل كل انسان ما يشاء طالما ان الله خلقه هكذا؟ بالطبع لا, نحن مضطرين ان نخضع لقيود حتى نعيش بأكبر نسبة من السلام فيما بيننا. فلو ترك الناس لبعضهم البعض لأكل بعضهم بعضا, و لا يوجد ألذ من لحم الانسان بالنسبة للانسان الاخر! و انا لله و انا اليه راجعون.

عندما نتأمل في طبيعتنا الجوهرية, و طبيعة العالم الذي نحن فيه, يظهر التضارب و الصراع بشكل سافر لا يوجد أسفر منه. الانسان غير مناسب للعيش في هذا العالم. الانسان لا يمكن ان يعيش بسلام مع انسان اخر. كل انسان عنده الاستعداد و الرغبة في ان يفعل ما يشاء و يلبي كل ما يشتهيه, فان وضعت اثنين من الناس في مكان واحد فيجب ان يقتل احدها جزء من نفسه من أجل ان يفسح مجالا للاخر لكي يلبي رغباته, او ان يقتل الاخر و يتخلص منه, او ان يحاول أن يستغل الاخر بشتى وسائل الاستغلال لكي يجعله يخضع لرغباته هو. بالله عليكم, هل حياتنا على هذه الارض تخرج عن هذه الاحتمالات الثلاثة؟! وضع اثنين من البشر في مكان واحد هو من أغبى القرارت التي يمكن ان يقوم بها كائن محترم. و من هنا تظهر لي الحكمة من قصة ادم و المعصية. فان كان لوجودنا هنا مبرر غير الصدفة المحضة, فانما هو العقوبة الشديدة. هذا ان أردنا التناسق و الصراحة. و اما ان أردنا أن نلطّف وضعنا الحالي, فيمكن أن نختلق الكثير من الاوهام و الالعاب الفكرية, و ما أعظم قدرتنا على الاختلاق!

وجود الكبرياء المطلق في الانسان هو أكبر دليل على ان الانسان ليس من هذا العالم, و انما هو غريب عنه. فلا يوجد كائن على هذه الارض او يوجد اي شئ في هذا العالم عنده مثل هذا الكبرياء و الغرور و الاستعداد لهدم العالم من اجل اشباع وهم او رغبة عنده. ان نقول ان الله هو الذي وضع الانسان في هذا العالم هو اتهام لله. و ان نقول ان الانسان تطور من الطبيعة هو أغبى شئ يمكن ان نقوله لانه لا يوجد في الطبيعة اي شئ يؤدي الى تولد كائن عنده نفسية مثل نفسية الانسان خاصة من حيث جوهره- اي الكبرياء المطلق و الاستعداد لذلك. و ان نقول ان الانسان- من حيث النفس- كان في عالم اخر وهبط الى هذا العالم هو اسلم قول ممكن. فالهبوط اما انه برغبة من الانسان نفسه فعندها نفهم انه أصبح حمارا لسبب ما يجب ان نكتشفه, و اما انه تم خداعه من قبل كائن او شئ اخر و هذا ما تقوله قصة ادم و ابليس كما هو معروف و هذا هو التفسير الاسلم عندي. فالوالد الأول غبي و نحن نتحمل نتيجة غبائه. من يدري, لعل هذا هو سر كره الابن لابيه, او كأن هذه القصة شاهد على اسطورة قتل الابناء لأبيهم التي تذكرها أدبيات التحليل النفسي. و لم لا..ان كان هو السبب في وجودهم في هذا العالم فليس من المستبعد ابدا انهم قتلوه. بل يظهر لي أن ادم عندما هبط في الارض, و أنجب أول أبناء, اجتمعوا مع بعض و تأملوا في نفوسهم, و أدركوا أنه ليس من المفترض أن يكونوا في هذا العالم, فلما سألوا أبيهم ادم: لماذا نحن هنا؟ و رد عليهم: لانني عصيت الله و انخدعت من ابليس...فعندها أظن أنهم أخذوا أقرب حجرة بجانبهم و هشموا رأسه! و لعل كره الابناء لأبائهم- الكره العميق المحتجب غالبا- لا يرجع الى رغبة الابن في أمه كما تقول مدرسة التحليل النفسي, اذ من الابناء من يكره أمه أيضا بقدر ما يكره أبيه, لا, و لكن أحسبه يرجع الى أنهم السبب في وجوده في هذا العالم. و كلنا نكره سبب تعاستنا. و لعل رغبة الابن في ان ينيك زوجات أبيه هي رغبة في الانتقام منه أكثر مما هي رغبة جنسية سليمة. على كل حال, ان كان الله يحاسب الانسان فانه يحاسبة الآن. و لا يعاقب المرء مرتين على جريمة واحدة. و لا جريمة في هذه الحياة الا و هي فرع من التواجد في هذه الحياة. فالمصيبة هي أصل الجريمة و ما الفروع الا تولد تلقائي من الاصل. انظر الى انسان يملك القدرة و السلطة على فعل ما يشاء, ثم تعال و تفلسف عن كون الانسان مسالم بطبعه و مناسب لهذا العالم. و المصيبة الأكبر هي عندما لا يعي الناس هذه الامور. و أما الوعي بها فهو أول التحرر منها. فنحن بحاجة الى الوعي بالذات أكثر من حشو الرؤوس بالعقائد و الاوهام. يجب ان نعي جورهنا, و نعي غربتنا, و بهذا قد نستعيد شئ من عزتنا و فرحتنا. "و لكل نبأ مستقر و سوف تعلمون".

(هل توجد "معضلة الشر" ؟)

أقصد بالملحد هنا من ينفي الايمان بالله تعالى على أساس وجود الشر في هذا العالم. و الفكرة باختصار هي هذه: طالما انه يوجد شر في العالم فهذا يعني أن الله غير موجود لانه لو كان موجودا لما وجد شر في العالم. لان الأمر لا يخلو من أن يكون هكذا: اما ان الله عالم بالشر و قادر على تغييره و لكنه لا يريد تغييره و ازالته فهذا يعني أن الله شرير. و اما انه لا يعلم بوجود الشر أصلا فاذن علمه ليس مطلقا. و

اما انه يعلم بالشر و يريد تغييره و لكنه لا يستطيع فاذن هو غير مطلق القدرة. و الاديان تصور الله على انه مطلق الارادة و مطلق العلم و مطلق القدرة. و بما انه ثبت أنه بسبب وجود الشر لا يمكن أن يكون الله مطلقا في هذه الأمور الثلاثة, بل هو حتما محدود في احدها, فالحاصل أن الله محدود بنحو من الانحاء, و بما أنه محدود فهو ليس "الله" الذي هو المطلق التام بحسب المفهوم و بحسب النصوص الدينية عموما.

هذه هي الفكرة المشهورة التي يستند اليها الكثير من أجل تبرير عدم ايمانهم بالله تعالى و بكل ما جاءت به الاديان طبعا حيث تزعم هذه أن الله تعالى هو مصدرها. فهل يوجد فعلا قوة كبيرة في هذه الفكرة أم ماذا؟ تعالوا ننظر.

يوجد في هذه الفكرة أمرين: منها وجود الشر, و منها كون الله تعالى مطلق في ارادته و علمه و قدرته. و سننظر فقط في فكرة الشر لانها القاعدة التي تستند عليها النظرية كلها, و نحيل مبحث اطلاقية الله تعالى الى كتب اخرى خاصة كتب العرفان.

أولا, لا يستطيع أحد أن يتحدث عن "الشر" او "الخير" الا ان كان قد حدد أولا الغاية من الحياة. لانه أولا تتحدد الغاية, ثم تأتي مفاهيم الخير و الشر بعد ذلك, بحيث يكون كل ما وافق الغاية يعتبر خير و كل ما خالف الغاية يعتبر شر. فلا يوجد خير و شر الا بعد وجود الغاية. هذه حقيقة مطلقة لا يستطيع أحد أن ينقدها فضلا عن أن ينقضها. و بدون الغاية لا يعتبر الكلام عن الخير و الشر الا ضرب من العبث, بل ان كل من يتحدث عن الخير و الشر يعتبر كلامه نفسه تعبيرا عن اعتقاده بغاية معينة, قد لا يدركها هو نفسه و يعيها, و لكنها موجوده في نفسه و متصورة في محل ما من عقله. و هذا أحد أسرار اختلاف الناس في مفاهيم الخير و الشر الجزئية النسبية. لان لكل منهم غاية معينة قد ءامن بها و جزم بها و ارتكز عليها, ثم بدأوا يتقاتلون بينهم حول مفاهيم تعتبر "أبناء" هذه الغاية. و يحاول كل منهم ان يقنع الاخر بأبناء غايته في حين أن لكل منهم أب مختلف. و هذا محال و لا يمكن تصور وقوعه أصلا و لن يقع أبدا.

فمثلا, اذا كانت الغاية من الحياة عند رجل هي الفوز في الحياة الاخرة القادمة بعد هذه و ما هذه الحياة الا ابتلاء بالرخاء و الألم ليرى الله كيف سنعمل و يحاسبنا بناء عليه لاحقا, و كل ألم يصيب المؤمن في جسمه و لو ان تصيبه شوكة صغيرة فانها ستكتب له حسنة يرتفع بها غدا في الجنة. فمثل هذا الرجل,

لن يرى أي قيمة لما يسمى بمعضلة الشر. لان "الشر" و هو هنا الألم الجسماني, سواء بفعل "الطبيعة" او بفعل الناس, لن يكون الا سبب لفرحته في الحقيقة لانها وسيلة له للصعود في درجات الجنة في الحياة الأبدية, و هي أيضا وسيلة يكتشف بها الحق سبحانه صدق ايمان هذا الرجل و قوته. و أما الموت, الذي هو "الشر" الأكبر عند من يرون هذه الحياة كغاية في ذاتها و لا غاية وراءها (و هم أصحاب ما يسمى بمعضلة الشر و لنسميهم أهل العاجلة في مقابل أهل الآجلة, او أهل الدنيا في مقابل أهل الاخرة) فان الموت بالنسبة لهذا الرجل المؤمن بالاخرة لا يعتبر الا وسيلة للانتقال الى تلك الحياة الابدية, فقط لا غير. كمثل ركوب سيارة للانتقال من بيت الى بيت. فاذن ما يسميه أهل الدنيا "شر" يراه أهل الاخرة: ابتلاء و ضرورة ,و في الجوهر و العاقبة خير ووسيلة الى الخير.

و هنا تظهر لنا الغاية الحقيقة وراء ما يسمى بمعضلة الشر هذه. فمن كانت غايته هي أن يبقى في هذه الحياة و يستمتع بها بجسمه باطلاق بدون أي تعكير او تحديد لصفو هذا الاستمتاع الجسماني كأصل, فان هذه الغاية تخلق مفاهيم خاصة عن الخير و الشر بحيث أن كل ما وافقها و أدى اليها يعتبر خير, و كل ما خالفها و قلل منها يعتبر شر. و لذلك يعتبر الموت "شر" و المرض "شر" بل و حتى الدين الروحاني الذي يحدد شهوات الجسم العمياء أيضا "شر" و هكذا بقية القائمة.

و الان نأتي الى أكبر تناقض في فكر أهل الدنيا او من يسمون أحيانا بالملاحدة. و هو أنهم ينفون وجود غاية للحياة و مع ذلك يتحدثون عن "الشر" !!

يقولون أنه لا غاية مطلقة للحياة الانسانية, و كل غاية تعطى للحياة انما هي وهم و اختراع بحسب ذوق المؤمن بهذه الغاية. بل وصل الحد بالبعض- كفرويد المحلل النفساني أن يقول ما معناه: من قال ما هي الغاية من هذه الحياة فهو مريض نفسيا! لانه موضوعيا لا يوجد شئ اسمه "الغاية" من الحياة. فضلا عن أن كثير منهم يرى أن الاعتقاد بامكانية استمرار وجود الانسان بعد موت جسمه هي مجرد رغبة طفولية تمثل الخوف من الموت و غير ذلك. و بالطبع هو ينفون تنزل رسالة من العالم الأعلى أو الله تعالى تبين مثل هذه الغاية المطلقة للحياة الانسانية. بل يصل الحد بالبعض أن ينفي وجود روح أصلا, بل انما هو جسم فقط و عمليات كميائية و فيزيائية و بيولوجية و نحو ذلك. فالحاصل هو انه لا يوجد غاية مطلقة للحياة, و انما غايات نسبية تتعدد بتعدد الناس و مصالحهم و فلسفاتهم الشخصية.

أقول: سلمنا مبدئيا بكل ذلك. حسنا, فمن أين جئتم بفكرة "الشر" المطلق اذن التي تبنون عليها فكرتكم عن معضلة الشر؟ فمقتضى نظريتكم هي أنه يوجد شر مطلق, و هو المرض و الموت و الكوارث "الطبيعية" و نحو ذلك. و هذا يعني أمرين: أولا اعترفتم و لو ضمنا بوجود شر مطلق, و ثانيا أثبتم وجود غاية للحياة و هو الغاية التي سميناها بالدنيوية. و كلا الأمرين مخالف و مناقض لاعتقادكم الذي لا تملون من ذكره و هو أنه لا يوجد شئ اسمه "حقيقة مطلقة" خاصة في هذه الأمور الفلسفية التهكنية. و ثانيا أنه لا يوجد غاية مطلقة للحياة الانسانية. و بالتالي أنتم لا تملكون الحق في أن تتحدثوا عن الشر في الوجود, فضلا عن أن تملكوا الحق في أن تبنوا عليه أفكارا أخرى مثل نفي وجود الله تعالى و بطلان الدين الالهي النبوي. فبناءا على اعتقادكم "النسبي" بغاية معينة للحياة, تريدون أن تبنوا رأيا مطلقا و هو نفي وجود الله تعالى بالكلية و غير ذلك من أمور. و هذا من عجائب الفكر. و الاعجب منه هو ان هذا التناقض السافر هو قاعدة عقيدة و حياة كثير من "العقلانيين و المتنورين" من المفكرين.

فاذن الخلاصة هي هذه: للتحدث عن الخير و الشر يجب أولا و قبل ذلك بالضرورة أن نحدد الغاية من الحياة. فان كانت الغاية "نسبية" فمفاهيم الخير و الشر أيضا نسبية. و ان كانت الغاية "مطلقة" فالخير و الشر أيضا مطلق. و ان كانت السلطة التي تبين و تصدر هذه الغاية المطلقة هي رأي انسان ما, فان هذا ينفي اطلاقيتها لانه كما ان لهذا الانسان الحق في ابتكار رؤيا و غاية للحياة فكذلك للاخرين نفس الحق. و أما ان كانت السلطة لكائن مطلق- كالله تعالى- فوق الناس, فعندها- و عندها فقط- يمكن ان تعتبر الغاية مطلقة, و بالتالي المفاهيم المتفرعة عن هذه الغاية الأصل تعتبر مفاهيم أيضا مطلقة عن الخير و الشر.

هل يمكن ان يوجد من لا يعتقد برأي مطلق؟ الجواب: هذا مستحيل. لان مقولة "كل شئ نسبي و لا يوجد شئ مطلق" متناقضة في ذاتها. لان هذه المقولة ذاتها, هل هي مطلقة أم نسبية؟ ان قلنا أنها نسبية فاذن المقولة خاطئة (لانها ستجعل نفي المطلق رأي نسبي لبعض الناس فقط و بالتالي تعطي الحق العلمي للاخرين بان يعتقدون بوجود المطلق) , و ان قلنا أنها مطلقة فالمقولة أيضا خاطئة ! (لان المقولة تنفي وجود المطلق بالكلية, فكيف تنفي وجود المطلق ثم تدعي لنفسها أنها حقيقة مطلقة ؟!). هذا على المستوى النظري.

و يتفرع عنه على المستوى العملي ما يؤكد ذلك أيضا. فانظر مثلا الى شخص "ملحد" من الدول المسماة بالغربية. و سترى عموما, أنه يؤمن بقيم معينة و يعتقد انها مطلقة و يجب على كل الناس أن يؤمنوا بها, و لذلك تراه ينتقد و يسفّل في كل من يخالفه فيها. مثلا اذا جئنا الى ما يسمى بحقوق الانسان كحق تغيير الدين. فانك ترى الملاحدة يشنون هجمة شرسة على كل من يخالف هذا الحق و يسلبه من شعبه- كالدول التي تطبق ما يسمى بحد الردة. و تراه أيضا يلوم و يشنع على البلدان التي تعامل النساء معاملة "سيئة" و "شريرة"! بل و أعلى من ذلك, تراهم يعتقدون بان "العقل حاكم على كل شئ" فيجعلون العقل- بمفهومهم المحدود عن العقل, مفهومهم "النسبي" عن العقل- يجعلونه مطلقا. و غير ذلك من أمور على كافة المستويات.

ففي الواقع, كل أحد يعتقد بالمطلق. لا يستثنى من ذلك أحد البتة. و لا يستطيع أصلا أن لا يؤمن بالمطلق بدرجة ما. و لو فعل ما فعل, فان اخر و أقل درجة من الايمان بالمطلق هي الايمان بان "عدم الايمان بالمطلق" هو أمر مطلق ! و هذا أحد معاني مقولة العرفاء: كل أحد مؤمن بالله حتى الملحد. (على اعتبار ان الله اسم المطلق عموما).

فالاعتقاد الدنيوي بان "هذه الحياة هي الحياة الوحيدة و أنها غاية في ذاتها " يقوم على قواعد منها: الايمان بالمطلق, و ادعاء معرفة الغاية من الحياة و الجزم بها بالدرجة الكافية لاتخاذها سندا يرتكزون عليه في كل صغيرة و كبيرة من مفاهيم الخير و الشر و الاداب العملية و السلوكية و قانون للحكم على الاخرين بمقتضاه حتى لو خالفونا في الاعقاد به. فهي "دين" بكل معنى الكلمة. دين مثلها مثل أي دين اخر عموما. فالقواعد التي يقوم عليها هذا الدين "الدنيوي" هي نفس القواعد التي يقوم عليها أي دين اخر. ففي الواقع, الدين واحد. من حيث الأسس و القواعد الدين واحد. و انما يختلف الناس في صور هذا الدين و تطبيقاته الجزئية. و بالتالي, لا يحق لاحد أن ينفي "تدين" أي احد, هكذا نفي بالمطلق. و لا يحق لاحد أن ينفي وجود "قواعد الدين" عند أي احد, هكذا نفي بالمطلق. فالواقع ضد مثل هذا الحق. و من هنا ندرك شئ من سر تسمية القرءان للكفار بانهم أصحاب دين أيضا "لكم دينكم و لي دين". و هو أيضا يكشف عن جانب من معنى كون كل الناس على دين "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم", و اللطيف هو ان هذه الاية ختمت بقوله "و لكن أكثر الناس لا يعلمون" و فعلا أكثر الناس لا يعلمون بهذه الحقيقة الجامعة بين كل الناس, بل ينظرون الى ظاهر الامور و هم عن باطنها غافلون, "ذلك مبلغهم من العلم". عسى الله أن يرزقنا نور الفهم و حسن الحكم.

و لننظر الان في تفصيل رؤية أهل الدنيا الملاحدة للشر.

الشر اما يقصدون به الشر بفعل الطبيعة او الشر بفعل الناس.

أما الشر بفعل الطبيعة أي بدون تدخل الناس, كالكوارث الطبيعية. فان في هذا أيضا تناقضا سافر عندهم. فهم من ناحية يقولون "يجب قبول الواقع على ما هو عليه" و من ناحية يعترضون على كيفية سير الطبيعة ! هكذا هي الطبيعة, و ليس أمامنا الا التسليم بها كأصل. فسواء اعتقدنا أن الطبيعة طبعت بأمر الله و خلقه, أو انها شئ مستقل بذاته و عشوائي, على الوجه الاول لا يوجد أمامنا الا التسليم و لا يمكن أصلا أن نؤمن بان الله خلق الطبيعة و طبعها ثم نستدل بحال الطبيعة "الشرير" على نفي وجود الله ! كيف يكون هذا ؟! و ان قلنا بانها مستقلة بذاتها فلا مجال أصلا للحديث عن الله. و ان قلنا أن وجود شر في الطبيعة يدل على عدم وجود الله – كما يفعل اهل الدنيا- فان وجود خير في الطبيعة يجب أن يدل على وجود الله. ووجود الخير و الجمال في الطبيعة و الحياة عموما هو أمر ثابت يؤمن به كل أحد و يتقبله كل احد بنحو من الانحاء و بدرجة من الدرجات. فان كان وجود الشر ينفي وجود الله, فان وجود الخير يثبت وجود الله. و بما أن الطبيعة فيها الخير و الشر- أيا كان المفهوم- فانه لا يمكن أن نستدل بوجود أحدها على وجود الله او نفيه. فالمؤمن بالله الذي يزعم أن جمال الطبيعة جعله يؤمن بالله, هو يقوم بنفس العمل اللامنطقي الذي يقوم به الملحد الكافر بالله الذي يستدل بقبح الطبيعة على نفي الله. كلاهما يقوم بعمل غير سليم. الطبيعة لا تدل على الله و لا تنفيه- من حيث الذات- كما يتصور هؤلاء. فالذي يثبت بقطب يجب ان ينفي بقطب. أي الذي ينفي وجود الله بسبب قطب الشر في الطبيعة, يجب أن يثبت وجود الله بسبب قطب الخير في الطبيعة. و كذلك الذي يثبت وجود الله بسبب قطب الجمال في الطبيعة, يجب أن ينفي وجود الله بسبب قطب الشر في الطبيعة. و هذا من أكبر التناقضات اللامنطقية التي يقوم عليها الفكر الالحادي.

أما الشر بفعل الناس, كالجرائم بأنواعها. فان في هذا أيضا تناقضا غريبا عند الملاحدة عموما. و ذلك لان "شر" الناس, يرجع الى وجود الارادة الحرة عندهم, و وجود هذه الارادة الحرة و الاختيار هو سبب اختيار بعضهم لفعل "الخير" و البعض الاخر لفعل "الشر". و هنا المقطع الغريب: فالملاحدة يذمون الاديان الالهية عموما لانها تقيد ارادة الناس و تمنعهم من الاختيار لانفسهم. فمن ناحية يطعنون في الله تعالى

بسبب وجود حرية الارادة و الاختيار في الناس, و من ناحية اخرى يطعنون في دين الله لانه بزعمهم يسلب حرية الارادة و الاختيار من الناس !! لوم الله على شر الناس يعني لوم الله بسبب خلق و منح حرية الارادة للناس. و ان كان سلب حرية الارادة من الناس هو دكتاتورية, فاذن في الحقيقة: كل ملحد دكتاتوري ! لان مقتضى طعنه هو وجود هذه الحرية في الارادة عند الناس. و الأغرب هو أن بعض الملاحدة ينفي وجود حرية الارادة أصلا عن الناس, بل يرى ان الناس مجرد شئ يسبه الآلة الميتة التي تتحرك بدون وعي منها, او ان العقل اللاشعوري يحكم الناس جبرا عنهم و لا يمكن الفكاك من أسره البتة, و بالتالي الناس ليسوا أحرار في ارادتهم و اختيارهم و ان كانوا يتوهمون ذلك. و بدون أن نحلل هذه الافكار, فلنسلم بها مبدئيا, و نقول: فان لم يكن الناس احرارا في ارادتهم, فهذا يعني أن الذي "يفعل" الشر بواسطة الناس هو الشرير الحقيقي, فكيف نسبوا هذه الافعال الى الله تعالى؟ ما أدراكم؟ لعل كائنات خفية أخرى تتحكم في الناس, و هذه الكائنات قد أعطاها الله حرية الاختيار, و بالتالي يرجع الكلام على هؤلاء. و هكذا لا يوجد الا تكهن و تحكم في طعن الملاحدة هذا. و كل أحد يعرف قطعا انه يملك و لو درجة ما من حرية الارادة و الاختيار. و العقل اللاشعوري مثلا يعرض امور متعددة على الوعي, و يحتمل امور متعددة, فكيف اختار الانسان هذا الأمر دون ذلك, و كيف تعددت أفعال الناس و قيمهم ان كان لا يوجد الا حاكم واحد و هو "الطبيعة"(هذه الكلمة الغبية التي لا معنى حقيقي لها)؟ وجود حرية الارادة و الاختيار هو أيضا أساس وجود قانون يعاقب الناس في المجتمعات و الدول. و عليها تقوم المسؤولية عموما. و لذلك يفرق القانون و الناس عموما بين الذي يقتل و هو سكران و الذي يقتل و هو غير سكران. و لذلك يفرق القانون و الناس عموما بين الذي يرتكب جريمة لانه مكره عليها و بين الذي يرتكب جريمة تلذذا بها. فنفي حرية الارادة مطلقا هو أيضا شئ لا معنى حقيقي له. و بالتالي نرجع الى الاصل, و هو وجود هذه الحرية.

و على ذلك يكون تناقض الملاحدة الغريب هو هذا: يطعنون في ذات الله لانه أعطى الناس حرية الاختيار, و يطعنون في دين الله لانه سلب من الناس حرية الاختيار !! هل ترى مقدار "التنوير و العقلانية" في هذه النظريات الرائعة ؟ (طبعا هذا بدون أن نثير معهم مسألة: من أين جئتم بان حرية الاختيار هو قيمة يجب أن تتبع حتى تطعنوا على دين الله- على فرض ذلك- في أنه يسلب الناس هذه الحرية؟).

غاية كل انسان هي "الهه و ربه". و الناس الذين يعلموه هذه الغاية و فروعها هم "الرسل". و الكتب- بالحروف او بالصور او بالاصوات..- التي تحوي هذه التعاليم هي "القرءان". و الافكار التي تنير له هذه الغاية و فروعها و تشرحها هي "الملائكة". فكل انسان عنده ايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله. هذه الاطر هي اطر حقيقة لا ينفك عنها احد. هي اطر حاكمة للخلق كله و محيطة به. و انما يختلف الناس

في ألوان و مواضيع هذه الاطر و القوالب و الأمثال. و مجموع هذه الامور يسمى "دين". و هذه هي الوحدة التي تجمع شتات الكثرة المتنافرة. فتأمل.

فلا يوجد معضلة شر, بل لا يوجد حتى مشكلة شر. و ما يقوله الملاحدة في هذه المسألة هي تناقض في تناقض, يناقضون أفكارهم نفسها و تعاليمهم نفسها. فهم يأتون بفكرة ميتة و يضربون بها تصور ميت ثم يتوقعون أن هذا سيولد لهم فكرة جديدة حية (اي نظرية الالحاد بكل فروعها). و هيهات هيهات لما توعدون.

و أما تفسير ما يسمى بالشر في هذا العالم, فان تفسير كل شئ يرجع الى الغاية التي اعتقدها الانسان و جعلته يرى أمرا ما على أنه شر. فرب كل انسان يكشف له عن تعاليمه. فمن اعتقد ان هذه الحياة الجسمانية هي الحياة الوحيدة و الاستمتاع الجسماني اللامحدود فيها هو الغاية, فلا يلومن الا نفسه عندما يجد "الشر" يحيط به من كل مكان و يحبط حياته و يغم نفسه. لا يلوم الله تعالى و لا يلوم الشياطين و لا بقية الناس و لا العالم الافاقي الأدنى (ما يسميه بالطبيعة) و لا شئ, بل فقط عليه أن يلوم نفسه في أنه اعتقد بهذه الغاية. لان هذه الغاية هي التي خلقت له هذه الشرور كلها و صبغت له العالم بصبغة سوداء كالحة. و ان وجد خيرا و فرحا و ضحكا فهو أيضا من خلق هذه الغاية نفسها. و في كلا الحالتين, الخير و الشر راجع الى غايته, و غايته راجعة الى اختياره و وعيه و فكره. فالأمر منه و اليه. فلا يلومن الا نفسه و لا يشكرن الا نفسه. "و ما ظلمتهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون".